الفصل الرابع

علم الاجتماع والانثربولوجيا

* الأنثربولوجيا .. الموضوع والاهتمامات والصلات .
* الثقافة .. علامة لقـــاء بين الاجتماع والأنثربولوجيا .
* النظم الاجتماعية بين الأنثربولوجيا والاجتمـــاع .
* الأنثربولوجيا بين الاستعمار والعنصرية .
* الأنثربولوجيا بين التطبيق وأهم النتائج .

المبحث الأول

الأنثربولوجيا .. الموضوع والاهتمامات والصلات

* موضوع الدراسة فى الأنثربولوجيا .

* اهتمامات الأنثربولوجيا .

* نقاط الالتقاء بين الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع .

* * *

* موضوع الدراسة فى الأنثربولوجيا :

تعنى الأنثربولوجيا Anthropology بصفة عامة بدراسة **الانسان** ، مشاركة فى ذلك العديد من العلوم الطبيعية والاجتماعية .

ولسنا هنا بصدد توضيح نشأة الأنثربولوجيا كعلم ، فلذلك مراجعه ومدارسه ونظرياته الكثيرة والمنوعه [١] .

وانما الذى يعنينا فى هذا المجال هو أن نوضح أن علم الأنثربولوجيا يدرس الانسان من زاويتين ، أولاهما .. على اعتبار أن الانسان واحد من أعضاء المملكة **الحيوانية** ، والثانية .. على اعتبار أن ذلك الانسان عضو فى **مجتمع** .

واهتمام الأنثربولوجيا ليس قاصرا على انسان بالذات أو على مجتمع معين فى زمان أو مكان محدد ، وانما يمتد ذلك الاهتمام ليشمل الانسان فى أى مجتمع وفى كل العصور .

ومن هنا تركز اهتمام الأنثربولوجيا فى **ثلاثة** محاور رئيسية هى :

١ ــ دراسة كل مراحل التطور التى أثرت فى **التركيب** العضوى للانسان •

٢ ــ دراسة كل تغير أصاب **حضارة** ذلك الانسان وأثر فيها سواء بالحذف أو بالاضافة * •

٣ ــ أما آخر المحاور فيتمثل فى الاتجاه نحو الدراسات **المقارنة** والتى احتلت مكانا مبرزا من الدراسات الأنثربولوجية بصفة عامة ، ولقد اهتم ذلك الاتجاه بابراز نقاط الالتقاء أو الاختلاف بين العديد من المجتمعات والحضارات محل الدراسة •

وعلى الرغم من بروز الاتجاهات أو المحاور الثلاثة السابقة الا أنه من المتفق عليه بين علماء الأنثربولوجيا ، أن مجال الدراسة الأنثربولوجية يقتسمه اهتمامان أساسيان هما :

١ ــ دراسة الانسان ككائن **طبيعى** ، ويتوافر على ذلك ما يعرف باسم علم الانسان الجسمى أو الأنثربولوجيا الجسمية Physial Anthropology •

٢ ــ دراسة الانسان ككائن **اجتماعى** ، ويتوافر على ذلك ما يطلق عليه اسم علم الانسان الحضارى أو الأنثربولوجيا الحضارية Cultural Anthropology •

هذا وتنشأ عن التقسيم السابق مجموعة من التفريعات ليس هنا مجال توضيحها [٢] ، لكن ما يهمنا هو أن نوضح أن الأنثربولوجيا الاجتماعية Social Anthropology ، تمثل احدى تلك التفريعات الرئيسية سواء اعتبرت الأنثربولوجيا الاجتماعية فرعا من الأنثربولوجيا الحضارية كما ترى المدرسة الأمريكية ، أو سواء اعتبرت قسما مستقلا من أقسام علم الأنثربولوجيا بصفة عامة كما ترى المدرسة الانجليزية •

(*) انظر محاولتنا فى هذا المجال ضمن :
دكتور صلاح الفوال ــ سوسيولوجيا الحضارات القديمة ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٨٢ .

الا انه من المهم أن نتفق على أن الاهتمام الرئيسى للأنثربولوجيا الاجتماعية هو **تحليل** البناء الاجتماعى للمجتمعات الانسانية بصفة عامة ، والمجتمعات البدائية وشبه البدائية بصفة خاصة ، وذلك من خلال الدراسة المركزة للبناء الاجتماعى لتلك المجتمعات وتوضيح عوامل الترابط والتأثير المتبادل لمختلف النظم الاجتماعية بداخلها .

هذا وترتكز الأنثربولوجيا الاجتماعية فى دراساتها تلك للبناءات الاجتماعية للمجتمعات البدائية وشبه البدائية على مجموعة من الاتجاهات والطرق المختلفة ، كما انتظمت فى العديد من **المدارس** المتنوعة سواء من حيث الفلسفة أو المنهج وذلك ابتداء من المدرسة النشوئية ، والتطورية ، والانتشارية ، وأخيرا المدرسة الوظيفية [٣] * .

وان كنا نعتقد أن أظهر تلك المدارس جميعا المدرسة **الوظيفية** التى أسسها راد كليف براون ، والتى تنهض على تصور نظرى مؤداه .. أن النظم الاجتماعية فى أى مجتمع ما هى الا نسيجا تتشابك عناصره ، وتؤثر كل منها فى الأخرى ، وتعمل تلك العناصر على خلق وايجاد وحدة اجتماعية تسمح للمجتمع بالبقاء والاستمرار والنمو [٤] .

*

اهتمامات الأنثربولوجيا الاجتماعية :

لابد حتى نحدد ما بين الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع من صلات ، أن نتعرف ولو فى عجالة على اهتمامات الأنثربولوجيا وخاصة الاجتماعية منها ، باعتبار أن الأنثربولوجيا الاجتماعية بالذات هى الأقرب صلة سواء من حيث الموضوع أو منهج الدراسة بعلم الاجتماع ** ، وذلك من

(*) انظر حول الوظيفية فى علم الاجتماع كتابنا — معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر — مرجع سابق ص ص ١٤١ — ١٤٨ .

(**) انظر مراجع هذا الجزء لتتعرف على الأنماط العديدة للأنثربولوجيا ، وكذلك لمدارس التفكير فيها وذلك ضمن الفقرتين (٢) ، (٣) ، ص ص ١٥٥ — ١٥٦ من هذا الكتاب .

خلال النقاط التالية :

(أ) دراسة **النظم** الاجتماعية ، بغرض تحديد العلاقة والتأثير المتبادل بين تلك النظم بعضها وبعض سواء فى ذلك المجتمعات التاريخية عن طريق ما خلفته من آثار وشواهد ، أو بالنسبة للمجتمعات المعاصرة من خلال الملاحظة المباشرة والمعايشة الكاملة أو شبه الكاملة لتلك المجتمعات .

(ب) دراسة **المجتمعات** الصغيرة الحجم البسيطة التكوين ذات النسيج الاجتماعى المتكامل والمحدود والتى تمتاز بالبساطة سواء فى الفنون الآلية أو فى الاقتصاد مع قلة التخصص .

(جـ) من هنا يمكن القول بأن الأنثربولوجيا الاجتماعية قد اهتمت بدراسة **البناء** الاجتماعى وخاصة للمجتمعات البدائية مع تأكيد مبدأ « الدراسة العميقة لمنطقة محدودة أو مشكلة معينة » .. [٥] .

(د) هذا مع اعتبار أن الدراسات الميدانية أو **الحقلية** قد صارت تشكل اليوم المنهج الرئيسى لعلم الأنثربولوجيا الاجتماعية .

(هـ) توجد اتجاهات معاصرة نقلت بعض اهتمامات الأنثربولوجيا الاجتماعية لدراسة المجتمعات **المتمدينة** ، وان كان ذلك لا يمنع من القول أن الاهتمام الرئيسى للأنثربولوجيا الاجتماعية مازال يتركز حول المجتمعات شبه البدائية ، وهى مجتمعات صغيرة الحجم وتعيش حياة تكنولوجية بسيطة وان كان ذلك لا يعنى بساطة النظم الاجتماعية فيها ، لأن بعضها قد يعيش على الصيد أو جمع الثمار وفى نفس الوقت يطبق نظما قرابية أو دينية على درجة عالية من التعقيد ، وعلى النحو الذى أوضحناه ضمن كتابنا « علم الاجتماع البدوى » [٦] .

*

نقاط الالتقاء والاختلاف بين كل من الأنثربواوجيا وعلم الاجتماع :

١ — هناك رابطة قوية تربط ما بين علم الاجتماع والأنثربولوجيا ، ومن دلائل تلك الرابطة القوية التسمية التى أطلقها راد كليف براون على

الأنثربولوجيا الاجتماعية باعتبارها علم الاجتماع المقـارن ، ولم يطلق براون هذه التسمية على الأنثربولوجيا جزافا ، وانما يعـود ذلك لطبيعة الدراسة فى الأنثربولوجيا الاجتماعية ، حيث تهتم بدراسة البناء الاجتماعى والتنظيمات الاجتماعية ، علاوة على اهتمامها بدراسة العادات .

ولعل هذه القناعة هى التى دفعت راد كليف براون ومالينوفسكى وغيرهما الى تبنى الاتجاه **الوظيفى** كأحد الاتجاهات المتميزة فى النظرية السوسيولوجية المعاصرة (٧) .

٢ ـ ومن الآراء ما يعتـبر أن العـلاقة ما بين علم الاجتمـاع والأنثربولوجيا ، علاقة **تداخلية** ، وذلك من منطق أن الأنثربولوجيا وهى علم الثقافة ذات صلة قوية وعميقة بعلم الاجتماع ، خصوصا اذا ما تم التعامل مع الثقافة من منظور واسع باعتبارها محتوى لكل الأساليب التى تصوغ كل شىء فى المجتمع بما فى ذلك القيم ونماذج السلوك (٨) .

ومن هذا المنطلق نجد مثلا أن مجال الدراسة **مشـتركا** ما بين علم الاجتماع وعلم الأنثربولوجيا من وجهة نظر علماء المدرسة الأمريكية (٩) .

٣ ـ سبق أن أوضحنا **الصلات** القوية والعميقة التى تربط ما بين الأنثربولوجيا الاجتماعية ، وبين علم الاجتماع **البدوى** ـ الذى كان لنا شرف السبق فى الكتابة فيه لأول مرة عام ١٩٧٤ ـ كأحد الفروع الخاصة لعلم الاجتماع وقلنا باختصار * :

(أ) أن هنـاك تشـابها كبـيرا فى **مجـال** البحث بين كل من الأنثربولوجيا الاجتماعية ، وعلم الاجتماع البدوى ، وان اختلفت مناهج البحث فى كل منهما الى حد ما .

(*) لمن أراد الاستزادة عليه ان يعود الى :
دكتور صلاح الفوال ـ علم الاجتماع البدوى ـ مرجع سابق ص ص ٩٢ ـ ٩٦ .

(ب) تهتم الأنثربولوجيا الاجتماعية بدراسة **البناء** الاجتماعى والتنظيمات بالدرجة الأولى ، ثم يأتى بعد ذلك اهتمامها بدراسة العادات ، بينما يهتم علم الاجتماع البدوى بتحديد ظاهرة البداوة وتتبع مختلف مظاهرها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية ، فضلا عن التعرف على طبيعة البنيان الاجتماعى للمجتمع البدوى بوجه عام ، والتعرف على الخصائص الاجتماعية والنفسية والحضارية للجماعات البدوية بوجه خاص ، ولعل هذه النقطة الأخيرة هى التى تمثل أشد نقاط الالتقاء وضوحا بين علم الاجتماع البدوى والأنثربولوجيا الاجتماعية .

(جـ) ما قدمته **الأبحاث** والدراسات الأنثربولوجية من اسهامات واضحة ، أثرت ولاشك فى مسيرة علم الاجتماع بوجه عام وعلم الاجتماع البدوى بوجه خاص ، وهذه النقطة بالذات سنعود لنتحدث عنها بالتفصيل فيما بعد (١٠) .

٤ — من العلماء من يعتبر أن هناك صلة **افتراضية** ثابتة بين علم الاجتماع والأنثربولوجيا ، ويقولون أن من علامات تلك الصلة تأثر المدرسة الأنثربولوجية الانجليزية بنظريات اميل دوركايم والتى أكدها راد كليف براون وخاصة فيما يتعلق بأفكار البناء الوظيفى (١١) .

٥ — ومع كل ذلك فان العديد من العلماء يؤكدون على وجود **فروق** جوهرية ما بين العلمين ، حيث تهتم الأنثربولوجيا بدراسة الانسان البدائى أو غير المتعلم ، بينما يتناول علم الاجتماع بالدراسة الحضارات الأكثر تقدما ، ويرون أن هذه الحقيقة الأساسية تمارس تأثيرا كبيرا على مضمون العلمين وموضوعيهما ، حيث **يميل** الأنثربولوجيون الى دراسة المجتمعات من كل جوانبها دراسة كلية شاملة ، بينما يميل علماء الاجتماع فى الغالب الى دراسة قطاعات أو أجزاء معينة من المجتمع ، كأن يدرسوا نظاما معينا أو عملية بعينها ، كدراسة الأسرة باعتبارها نظاما ، والحراك الاجتماعى باعتباره عملية (١٢) ... الخ .

٦ — وسع بعض العلماء دائرة **الخلاف** ما بين كل من الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع ، وقالوا أن التقسيم التقليدى بين العلمين من حيث مجال الدراسة ، هو الذى يمثل أساس الخلاف بينهما ، حيث تهتم الأنثربولوجيا بدراسة المجتمعات البدائية ، بينما تعتبر المجتمعات الحديثة هى مجال الدراسة فى علم الاجتماع [١٣] ، **وبتعبير** آخر فان الوسط الطبيعى لعالم الأنثربولوجيا هو المجتمعات المحلية الصغيرة المكتفية بذاتها ، بينما يدرس عالم الاجتماع التنظيمات الكبيرة والعمليات الاجتماعية المعقدة [١٤] * .

٧ — يرى العديد من العلماء أن هناك **فرق** جوهرى آخر بين العلمين ، وهذا الفرق لا يكمن هذه المرة فى مجال الدراسة ، وانما يكمن فى أسلوبها **أو** فى المنهج المستخدم فى كل منهما ، حيث يميل الأنثربولوجيون عادة من خلال منهجهم الأنثربولوجى الى العيش فى المجتمع الذى يدرسونه حتى يمكنهم ملاحظة السلوك المدروس بطريقة مباشرة ، كما يسجلون ملاحظاتهم عن العادات والأعراف والتقاليد اما بطرق مباشرة أو مستعينين ببعض الأشخاص الذين يعرفون بالاخباريين وفق شروط خاصة ، ومن هنا كان المنهج الأنثربولوجى — فى رأى هؤلاء العلماء — هو بالضرورة منهج كيفى أو علاجى ، **لكن** علماء الاجتماع غالبا ما يستخدمون منهجا للدراسة مختلفا ويعتمد بدرجة أكبر على الاحصاءات والاستبيانات وما تفرزه من بيانات كمية فى معظم الأحوال .

٨ — يميل عدد من علماء الاجتماع الأكثر **تحيزا** له الى الاعتقاد بأن الأنثربولوجيا الى زوال ، وأن مصيرها الى أن تصبح فرعا من فروع علم

(*) الاتجاهات المعاصرة للأنثربولوجيا الاجتماعية تتجه نحو دراسة المجتمعات الحديثة لكن دون التخلف عن دراسة المجتمعات البدائية وشبه البدائية ، هذا فضلا عن اننا أثبتنا من خلال كتابنا « علم الاجتماع البدوى » أن هذه النقطة تعتبر نقطة لقاء لا نقطة خلاف — انظر هامش ص ٩٥ من المصدر المذكور .

الاجتماع مهمته الأساسية دراسة القيم والمجتمعات المحلية الصغيرة ، أو أن تذوب الأنثربولوجيا نهائيا فى اطار علم الاجتماع العام •

ويرتكز أصحاب هذا الرأى على أساس الادعاء القائل بأن علم الأنثربولوجيا قد ربط مصيره بوجود الشعوب البدائية ، وبما أن هذه الشعوب مصيرها الى التقدم والتحديث والانصهار ضمن المجتمع الكلى العام ، فان فرصة الأنثربولوجيا بالتالى فى **البقاء** كعلم متميز تكون هى الأخرى فرصة محدودة أو ضئيلة للغاية على حد تعبير أصحاب ذلك الرأى (١٥) •

وطبعا هذا الرأى مردود عليه ، سواء من خلال طبيعة الدراسة ذاتها للأنثربولوجيا بصفة عامة والأنثربولوجيا الاجتماعية بصفة خاصة ، أو سواء من خلال الاتجاهات المعاصرة التى توسع دائرة اهتمامات الأنثربولوجيا ، خصوصا وأن المنهج الأنثربولوجى للبحث قد توسعت دائرة استخداماته فى العديد من المجالات غير الأنثربولوجية كالمجال الصناعى وغيره من مجالات البحث التقليدية لعلم الاجتماع •

٨ — وفى المقابل فان الانثربولوجيين **المحدثين** ، يرون أن الأنثربولوجيا قد تجاوزت مرحلة الوصف الخالص للحياة الاجتماعية عند شعب من الشعوب وتأويلها بتلك الطريقة السهلة الشائعة التى تحاول تفسير ثقافة معينة بالذات بالرجوع الى ثقافة أو ثقافات أخرى ، وانما تهدف الدراسات **الحديثة** فى الأنثربولوجيا — لاسيما الحقلية منها — الى الوصف التحليلى التكاملى — على حد تعبير ايفانز بريتشارد — الذى يبرز الملامح الهامة فى الحياة الاجتماعية ، تلك الملامح التى تيسر فهم بناء هذه الحياة كما تيسر الوصول الى نظرية عامة (١٦) •

٩ — والأكثر من هذا فان علماء الأنثربولوجيا المعاصرين يميلون الى التفكير فى حدود **المجتمع** — أى حدود الأنساق والقيم الاجتماعية

والعلاقات القائمة بينهما — أكثر مما يميلون الى التفكير فى حـــدود **الثقـــافة** (١٧) * .

١٠ — هناك من يرى أن علم الأنثربولوجيا أعم **وأشـــمل** من علم الاجتماع فى دراسة الطبيعة البشرية ، لأن علم الاجتماع لا يدرس فقط الا الجانب الاجتماعى لهذه الطبيعة ، بينما توجد لذلك الانسان طبيعتين أخريتين ، واحدة حيوية والثانية نفسية .

ومن هنا نشأت الحاجة فى رأى أصحاب ذلك الاتجاه الى قيـــام علم عام تكون مهمته دراسة **الانســـان** فى طبائعه أو حالاته الثلاث .. الاجتماعية والحيوية والنفسية لأن تلك الحالات موجودة فى ذلك الانسان بالسليقة .

وذلك العلم العـــام هو الأنثربولوجيا الذى فى مقدوره أن يستوعب الانسان كله ككائن حى واجتماعى له شعور جمعى وفردى ، ومن هنا فان الأنثربولوجيا فى رأيهم هى علم دراسة الانسان ** .

(*) لقد كان هذا الاتجـــاه هو ركيزة الاتجـــاه الوظيفى فى النظـــرية السوسيولوجية المعاصرة . خصوصا وأن مالينوفسكى هو أول من طبقه خلال دراسته المشهورة عن مجتمع « التروبرياند » .

(**) علم دراسة الانسان فى نظر هؤلاء ينبغى أن يكون شاملا لعلم الحياة وعلم النفس وعلم الاجتماع ، لأن هذه العلوم تدرس ظواهر مختلفة متداخلة ومتفاعلة فى الانسان بالطبيعة . فلا ينبغى أن تنعزل عن بعضها وانما يتحتم أن تكون متكاملة لدراسة هذا الانسان ككل ، وبالتالى يجب اعتبار الظاهرة الاجتماعية — التى هى موضوع الدراسة فى علم الاجتماع من وجهة نظرهم — ظاهرة كلية ذات أبعاد ثلاثة .. حيوية ونفسية واجتماعية .

هذا ويتزعم ذلك الاتجاه العالم الفرنسى الكبير خليفة دوركايم مارسل موس ، للاستزادة انظـــر :

مارسل موس — علم الاجتماع والأنثربولوجيا — ترجمة وتقديم الدكتور محمد طلعت عيسى — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة — ١٩٧٢ — ص ص ٥ — ١٨ .

١١ — من العلماء من يرى أن **التمـــايز** بين كل من علمى الاجتمـــاع والأنثربولوجيا سوف يستمر ، ويرون أنه لا يمكن أن يحدث امتزاج بينهما فى المستقبل المنظور على الأقل .

وهذا التباعد بين كل من العلمين ، هو لتأكيد حقيقة كل منهما من جهة ، ودعما للفكر الانسانى ذاته من جهة أخرى لأن **الرابـــح** الأخير فى السباق العلمى بينهما هو الانسان الذى يســـعى كل منهما لدراسته ســـواء على المستوى النظرى أو على المستوى التطبيقى بوسائل وطرق ، بل وبمناهج مختلفة ، أن مكاسب ذلك الانسان لا يمكن تأكيدها الا فى ظل ذلك التنافس الشريف بين كل من علم الاجتماع والأنثربولوجيا * .

* * *

(*) يرى كل من بارسونز وكروبر ، رايا قريبا من هذا الراى .

المصـــادر والتعليقـــات

١ — للاستزادة حول نشأة الأنثربولوجيا انظر :

(أ) ايفانز بريتشارد — الأنثربولوجيا الاجتماعية — ترجمة الدكتور احمد أبو زيد — منشأة المعارف — الاسكندرية — ١٩٦٠ .

(ب) الدكتور أحمد الخشاب — دراسات أنثربولوجية — دار المعـــارف — القاهرة ١٩٧٠ .

(جـ) الدكتور عاطف وصفى — الأنثربولوجيا الاجتماعية — دار المعارف — القاهرة ١٩٦٨ .

(د) دكتور ابراهيم رزقانه — العائلة البشرية — القاهرة — ١٩٥٠ .

(هـ) Evans, Pritchard, Social Anthropology, London, 1951.

وانظر ايضا الترجمة التى أعدها الدكتور أحمد بدوى عنه — القاهرة — ١٩٥٨ ، وهى خلاف الترجمة التى قدمها الدكتور احمد ابو زيد والمنوه عنهـــا قبـــلا .

٢ — من هذه التفريعات ما يأتى :

(أ) علم حفريات ما قبل التاريخ Prehistoric Archaeology ، ويهتم ذلك العلم بصفة اساسية بجمع وتحليل الآثار والمخلفات البشرية التى يستدل منها على التسلسل التاريخى للأجناس والعائلات البشرية .

(ب) علم التطور البشرى Human Evolution ، ويعتبر امتدادا طبيعيا لدراسة حفريات ما قبل التاريخ ، حيث يعنى هذا العلم بتتبع مختلف التطورات التى طرات على النوع البشرى سواء منها ما كان فيزيقيا أو نفسيا أو عقليا ، مع اهتمام ذلك العلم بمحاولة تتبع مختلف الآثار الحضارية التى لازمت العصور السحيقة فى القدم .

(جـ) علم السوماتولوجى Somatology ، ويطلق عليـــه ايضـــا عـــلم الأنثروبومترى Anthropometry ، ويهتم بدراسة مختلف الخصائص الطبيعية والفيزيقية للسلالات والعائلات البشرية والتى تميزها عمن ســـواها .

(د) علم الأتنولوجيا Ethnology ، ويطلق عليه علم الأنثربولوجيا

الثقافية Cultral Antropology ، وهو يهتم بالدراسات المتعلقة بنشأة السلالات والأصول الأولى للنوع الانسانى العاقل ، وهذا العلم بهذا المفهوم يحتوى على دراسة أصول الثقافة والمناطق الثقافية المختلفة علاوة على دراسته لأسباب هجرة وانتشار الثقافة فضلا عن دراسة الخصائص النوعية لكل منها ، ولقد أخذت الأنثربولوجيا الثقافية تستأثر باهتمامات متعددة خلال الربع الأخير من هذا القرن ، هذا ومن أبرز الموضوعات التى تناولها هذا العلم موضوعات .. الثقافة ، الحضارة ، والعلاقة ما بين كل من الثقافة والحضارة ، مع تحديده للأنماط وللمناطق الثقافية ، علاوة على دراسته للغة من حيث خصائصها ومقوماتها وفروعها ودورها فى انتقال الثقافة فضلا عن الاهتمام بالفلكلوريات .

هذا ويمكن للقارىء العزيز أن يجد تفصيلات لما أجملناه ، علاوة على اضافات مؤكدة سواء من حيث فروع الأنثربولوجيا أو من حيث اهتماماتها وطبيعة الدراسة فيها علاوة على مناهجها وطرقها فى البحث تحقيقا للأهداف التى تسعى اليها ضمن اى من المصادر المشار اليها فى الفقرة (١) .

٣ ــ حول المدارس الأنثربولوجية ، يقول أستاذنا المرحوم الدكتور أحمد الخشاب فى كتابه دراسات أنثربولوجية المشار اليه ، يقول : « ان السؤال عن أصل النظم الاجتماعية قد خلف لنا .. المدرسة النشوئية .. ، والسؤال عن .. تطورها تولت الاجابة عليه .. المدرسة التطورية ، أما موضوع انتشارها فقد شغل ومازال يشغل طائفة من العلماء الذين يسمون بالانتشاريين أو .. المدرسة الانتشارية ، الى أن انتهت الأنثربولوجيا باعطاء الأهمية لوظيفة الظاهرة الاجتماعية فى تكامل وديناميكية المجتمع وتفسير ذلك عند .. المدرسة الوظيفية » انظر ص ص ١٤٤ ــ ١٤٦ من المصدر المشار اليه .

٤ ــ دكتور صلاح الفوال ــ علم الاجتماع البدوى مرجع سابق ص ص ٩٢ ــ ٩٤ .

٥ ــ Hammond, Cultural and Social Anthropology, New York, 1965, p. 474.

وانظر أيضا :
الدكتور عاطف وصفى ــ الأنثربولوجيا الاجتماعية ــ مرجع سابق ص ٦٣ .

٦ ــ انظر :
دكتور صلاح الفوال ــ علم الاجتماع البدوى ــ مرجع سابق ــ الباب

الثالث الخاص بالبناء الاجتماعى للمجتمعات البدوية ص ص ١٧٧ — ٣٠٠ .

٧ — انظر الاتجـــاه الوظيفى ضمن :
دكتور صلاح الفوال — معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر — مرجع سابق ص ص ١٤٣ — ١٤٧ .

٨ — الثقافة من منظور محدود هى « ذلك النسق من الرموز الذى يضم اللغة والقيم السائدتين فى مجتمع ما » ، أما الثقافة من منظور اوسع فتعنى « ان الثقافة تحتوى على كل الأساليب التى يمكن عن طريقها صنع الأشياء بما فى ذلك القيم السائدة والاجراءات النظامية العامة » .

للاســـتزادة انظـــــر :
دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع .. المفهوم والموضوع والمنهج — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٨٢ ص ص ٩٣ — ١٠٢ .

٩ — الأمر مختلف بالنسبة للمدرسة الانجليزية حيث تحتل فيهـــا الأنثربولوجيا وضعا متميزا عن علم الاجتماع سواء من الناحية الأكاديمية أو التقاليد العلمية .

١٠ — انظر نماذج لتلك الأبحاث والدراسات ضمن :
دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق — ص ص ٣٤١ — ٣٨٣ .

١١ — انظر دكتور محمد عاطف غيث — علم الاجتماع — الجزء الأول — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٦ ص ١٧٦ .

١٢ — للاستزادة انظر — دكتور محمد الجوهرى وزملاؤه — دراسة علم الاجتماع — مرجع سابق ص ٤٣ .

١٣ — للاستزادة انظر — دكتور عبد الحميد لطفى — الأنثربولوجيا الاجتماعية — مرجع سابق ص ٨٦ .

١٤ — انظر — دكتور محمد الجوهرى وزملاؤه — دراسة علم الاجتماع — مرجع سابق ص ٤٣ .

١٥ — المصـــدر السابق ص ص ٢٣ — ٤٤ .

١٦ — للاستزادة انظـــر :
ايفانز بريتشارد — الأنثربولوجيا الاجتماعية — ترجمة الدكتور احمـــد أبو زيد — مرجع سابق ص ١٣٢ وما بعدها .

١٧ — المصدر الســـابق ص ١٣٨ .

* * *

المبحث الثـــانى

الثقافة .. علامة لقاء بين الاجتماع والأنثربولوجيا

* الثقـــــافة .
* الحضارة والثقافة .
* الأنماط الثقافية .
* المناطق الثقافية .
* الانتشار الثقافى .

* * *

* موضوعات اللقـــاء بين الاجتماع والأنثربولوجيا :

سنتحدث هنا عن عدة موضوعات تستقطب اهتمامات الأنثربولوجيا ، والتى تلقى فى نفس الوقت اهتماما خاصا من علم الاجتماع المعاصر ، كموضوعات الثقافة والنظم والفلكلوريات ، وذلك من وجهة نظر أنثربولوجية ، ثم نتحدث بعد ذلك عن ما يعرف بالأنثربولوجيا التطبيقية من خلال عرض سريع لبعض النتائج الهامة للدراسات الأنثربولوجية خصوصا تلك التى تركت بصماتها على مسيرة علم الاجتماع .

* الثقافة والأنثربولوجيا :

يتوافر اليوم على دراسة الثقافة من وجهة نظر أنثربولوجية ما يعرف بالأنثربولوجيا الثقافية Cultural Anthropology .

ومن الأنثربولوجين من يعتبر الأنثربولوجيا الثقافية « الأثنولوجيـــا » قد شكلت علما استقل بذاته مع الربع الأخير من هذا القرن ، وشكلت دراسة الأصول الأولى للانسان العاقل بما فى ذلك أصول الثقافات ومنشؤها

وهجراتها وانتشارها والخصائص المميزة لكل منها . شكل كل ذلك محور اختصاص ذلك العلم * .

١ ــ الثقــافة Culture :

لازال التعريف الذى قدمه **تيلور** Tylor للثقافة من خلال كتابه « **الثقافة البدائية** » ، مقبولا من الأنثربولوجيين ، حيث عرفها بأنها « ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات الاجتماعية وكل القدرات الأخرى التى يكتسبها الانسان باعتباره عضوا فى جماعة » (١) ** .

والثقافة بهذا المفهوم تدرس من طرف فروع عديدة للأنثربولوجيا ، لاسيما من طرف كل من الأنثربولوجيا الاجتماعية والأنثربولوجيا الثقافية ، ولكن يبقى دائما اختلاف بينهما سواء من حيث منهج الدراسة أو هدفها ، فالأنثربولوجيا الثقافية « الأثنولوجيا » تهتم بدراسة الظاهرة الثقافية من خلال صياغة الحقائق المتعلقة بها فى سياق التاريخ وعلم النفس ، بينما تهتم الأنثربولوجيا الاجتماعية أثناء **دراستها** لتلك الظاهرة الثقافية بتتبع مختلف العلاقات التى تربط الظاهرة المبحوثة بغيرها من الظواهر من خلال البنية الاجتماعية العامة للجماعة أو المجتمع الذى يحتوى تلك الظاهرة (٢) .

كما تشمل الثقافة بهذا **المفهوم** كل الصفات الموروثة فى المجتمع ، بما تضمه تلك الصفات من عادات وتقاليد وقيم فضلا عن مختلف الفنون السائدة فى المجتمع وما يصاحبها من تقدم علمى أو فكرى .

(*) تعرف الأنثربولوجيا الثقافية ، بأنها العلم الذى يدرس أصول الثقافات الانسانية ، علاوة على تاريخها وتطورها ، كما تدرس بناء الثقافات الانسانية ووظائفها فى كل الأزمنة والأمكنة .

(**) يستخدم مفهوم الثقافة من طرف العديد من الأنثربولوجيين المحدثين باعتبارها ــ أى الثقافة ــ أسلوب الحياة الذى يميز مجتمعا عن آخر ، وتضم الثقافة بناءا على ذلك المفهوم كل الأنماط السلوكية المكتسبة .

٢ ــ الحضـــارة والثقافة Civilization and Culture :

قد يطلق على الثقافة مصطلح آخر مرادف هو الحضارة ، الا أن هناك من العلماء من يرى ضرورة الفصل بين الثقافة Culture كمصطلح والحضارة Civilization كمصطلح آخر ، ويستند دعاة ذلك التفريق على أن **الثقافة** انما تطلق على « الأمور غير المادية فى المجتمع » ومنها المعتقدات والمعارف والقيم والعادات والتقاليد ومختلف صور الفن ومظاهره •

بينما يدل مصطلح الحضارة على « الأمور المادية فى المجتمع » لاسيما الاختراعات بما فيها التنظيمات التى يبتكرها المجتمع لتحقيق أهدافه ودعم كيانه ، كما يدل مصطلح الحضارة أيضا على « مختلف التطورات التى تلحق بتلك الجوانب المادية فى المجتمع » كالتطور الناشىء فى مجال الصناعة أو الزراعة أو الاتصالات خصوصا ما تم منها وفقا للمخترعات والاكتشافات العلميـــة •

وهناك من يرى أن **التفرقة** بين مصطلحى الحضارة والثقافة لا تنهض على أساس مقنع ، وذلك للتضافر الموجود بين الجانب المادى وغير المادى للثقافة ، ويرون أن المخترعات المادية كلها كانت فيما مضى فكرة أو مجرد خيـــال * •

وما لبث أن برز رأى يصحح مسار **العلاقة** بين شطرى الثقافة ، ويرى أنه

(*) الخيال العلمى لعب ويلعب دورا اساسيا وحاسما فى التقدم العلمى ذاته ، حتى وان كان ذلك الخيال خيال كاتب فى قصة أو رواية ، وقبل عصر الصواريخ وصعود الانسان الى القمر وقرب وصوله الى المريخ ، كان ذلك كله مجرد خيال فى قصة كاتب أو قصيدة شاعر ، وطبعا هناك فرق كبير بين الخيال العلمى ، والخيال الأدبى ، فالأول جزء من المنهج العلمى ، والثانى نتاج احلام شاعر أو أديب ، فالأول يتخيل علاقات وتصورات عسى أن تسهم فى الاجابة عن سؤال بحثه المطروح ، والثانى شطحات وجدان أو قفزات عقل فوق حاجز الزمن والمكان لرسم صورة تهيم فى خاطره ، لكن يبقى دوما للاثنين ــ خيال العالم وشطحات الأديب ــ دورهما المؤثر فى تقدم العلم .

لا مانع من استخدام مصطلح « الحضارة » للتعبير أو للدلالة عن مستويات الثقافة الأكثر تقدما •

ولكن يبدو أن تلك المحاولة **التوفيقية** ستجلب العديد من المشاكل للأنثربولوجيين بالذات حيث سيكون هناك مستويات لدراسة الثقافة سواء على مستوى المجتمع الواحد أو على مستوى المجتمعات المتقدم منهـــا والمتخلف ، بمعنى أننا سندرس تارة العناصر المتقدمة من الثقافة داخل نطاق الجماعة أو المجتمع الواحد ، ثم ندرس تارة أخرى المجتمعات التى تتميز بثقافة كلية متقدمة ، وتلك التى لا تتميز بنفس الصفة ، مع عدم اغفال صعوبة **التفريق** بين ما هو متقدم وما هو غير متقدم سواء بالنسبة للثقافات أو المجتمعات نظرا لنسبية التقدم كمفهوم من جهة ، ولغيبة معايير موضوعية لقياس ذلك التقدم من جهة أخرى •

لذلك فان الأنثربولوجيين لا يفرقون بين مصطلحى الحضارة والثقافة ، بل يستخدمون المصطلحين **للتعبير** عن نفس الحقيقة ، ومبررهم فى ذلك تعريف تيلور للثقافة الذى أسلفناه والذى يتضح من خـــلاله التضـــامن العضوى بين عنصرى الثقافة المادى منها وغير المادى •

٣ ــ الأنماط الثقافية Culture Patterns :

وتعنى كلمة نمط Pattern أن الشىء يأخذ شكلا متكررا ، أما النمط الثقافى فهو تعبير عن طريقة عمل أو اعتقاد ما يعتبر مألوفا لفئـــة من الناس [٣] •

ومن العلماء من يرى أن **الأنماط** الثقافية ما هى الا تلك الوحدات التى تتألف منها الثقافات ، وأن لهذه الأنماط خصائصها المميزة لها ، والتى تستمد منها كل ثقافة مظهرها العام ، ذلك المظهر الذى يميزها عن باقى الثقافات الأخرى ويطبعها بطابعها الخاص ، وتأخذ الثقافة مظهرها العام

وفقا لترتيب الأنماط الثقافية التى تتألف منها ووفقا للعلاقات التى تربط بين عناصرها بحيث ينتج عن هذا كله مركب جديد يطلق عليه « المورثات الثقافية »(٤) .

وهذه المورثات الثقافية هى المسئولة عن نقل الشكل العام للثقافة عبر الأجيال المتتالية .

هذا وتأخذ أنماط الثقافة عدة **مسميات** حسب طبيعتها وحجمها ، فمنها ما هو صغير جدا يسمى « سمة ثقافية Culture Trait » ، ومن أمثلته نوع غطاء الرأس فى مجتمع من المجتمعات ، وعندما تترابط السمات الثقافية وتتجمع فى تسلسل منطقى تكون معا ما يعرف « بالمركبات الثقافية Culture Complex » ومن أمثلة تلك المركبات الطريقة التى أتبعت فى صنع غطاء الرأس ذاته بدءا من تجميع قشه أو قماشه حتى يأخذ صورته المركبة كغطاء للرأس .

ومن تلك الأنماط ما هو **اجبارى** Compulsory ، ومنها ما هو اختيارى Alternative ، والنمط الثقافى يكون اجباريا عندما تسلك الثقافة طريقا ملزما فى مواجهة موقف ما ، ويكون ذلك النمط **اختياريا** ، عندما تكون هناك فرصة للاختيار بين عدد من الأنماط المتشابهة أو المتقاربة * .

ومنها أيضا ما هو واسع الانتشار أو شائع Typical ومنها ما هو **محدود** Restricted النطاق أو محلى ، والنمط الثقافى **الشائع** ، هو الذى يسود على نطاق مكانى واسع — عدة مجتمعات مثلا — أو تراعيه أعداد كبيرة من الناس ، أما النمط **المحدود** ، فهو الذى يسود فى مجتمع محلى ضيق أو تراعيه نوعيات قليلة من الناس داخل مجتمع واحد ، ومن أمثلة النوع الأول الممارسات الخاصة بالزواج أو الموت أو الطلاق طبقا للشريعة

(*) من أمثلة الأنماط الاجبارية ، ما يتبع عند الأخذ بالثأر أو الانتقام فى مجتمعات كثيرة خصوصا فى دول العالم الثالث ، ومن أمثلة الأنماط الاختيارية ما يتصل باختيار الملابس أو الأطعمة وما اليها .

الاسلامية فى المجتمع الاسلامى أو طبقا للشريعة المسيحية فى المجتمعات المسيحية ، ومن أمثلة النوع المحدود ، التقاليد الخاصة بمهنة الطب أو المحاماة أو الخدمة الاجتماعية ، أو المتصلة باجراءات الخطبة أو الاحتفال بالأبناء الذكور وما اليها * (٥) .

٤ ــ **المناطق الثقافية** Cultural Areas :

يقصد بالمناطق الثقافية المجال **الجغرافى** الذى تنتشر فيه الأنماط الثقافية ، بشرط أن يكون هناك نمط أو مجموعة من الأنماط المتشابهة هى السائدة فى تلك المنطقة أو المناطق ، وبحيث يكون للثقافة فى منطقة ما سمات تميزها عن غيرها من الثقافات .

والملاحظ تبعا لذلك أن الثقافة المصرية تختلف عن الثقافة الهندية مثلا ، والثقافة الأفريقية بصفة عامة تختلف عن الثقافة الآسيوية بصفة عامة أيضا ، وأن كلا منهما يختلف عن الثقافة الأوروبية أو الأمريكية الى حد كبير .

كما **يلاحظ** بنفس القدر أن الثقافة الاسلامية التى قد تضم بلادا من آسيا وأفريقيا وأوروبا تختلف اختلافا كبيرا عن الثقافة المسيحية التى قد تنتشر فى أوروبا وآسيا وأفريقيا .

هذا ومن تلك المناطق ، كما يتضح مما سبق ــ ما هو محدود النطاق ** ، ومنها ما هو واسع النطاق ، والضيق والاتساع هنا نسبى ولا يحكم عليه الا بالمقارنة بغيره .

(*) هذا ويوجد نمط آخر يطلق عليه النمط المفضل Preferred ، ويرتكز هذا النمط على وجود عدة انماط سلوكية يمكن للفرد ان يتبعها ولكنه يفضل فقط واحدا منها ، ولكننا نرى أن هذا النمط يمكن أن يندرج تحت النمط الاختيارى السابق الاشارة اليه .

(**) المناطق الثقافية المحدودة النطاق ، تعرف باسم المناطق الثقافية الهامشية .

كما يؤكد علماء الأنثربولوجيا الثقافية أن لكل منطقة ثقافية مركزا ثقافيا أو **بؤرة** ثقافية تبلغ خلالها السمات الثقافية أكثر درجات الكمال والوضوح والاشعاع ، بمعنى أن الثقافة تكون خلال ذلك المركز فى أكثر حالات كمالها وسيطرتها وقدرتها على التأثير والانتشار فيما حولها من مناطـــق •

فمثلا القاهرة هى المركز الثقافى لجمهورية مصر العربية ، وطوكيو هى المركز الثقافى لليابان وباريس هى المركز الثقافى لفرنسا •• الخ •

وقد يكون ذلك المركز مركزا محليا أو اقليميا أو قوميا أو عالميا فى نفس الوقت ، فمكة المكرمة أو المدينة المنورة أو القدس ، لا تعتبر مراكز ثقافية للمملكة العربية السعودية أو لفلسطين فقط ، وانما هى كذلك بالنسبة للعرب جميعا ، ولكل المسلمين والمسيحيين فى شتى أنحاء العالم •

أما عن الطرق المستخدمة فى تحديد المناطق الثقافية ، وعن المعايير التى يجب أن تتخذ لذلك ، فهى حتى اليوم مجال **خلاف** كبير بين علمـــاء الأنثربولوجيا الثقافية •

فمنهم من يرى أن أســـاس التقســـيم يجب أن يكون مرتكزا على التقسيمات **الطبيعية** التى تقسم العالم الى مناطق جغرافية ونباتية معينة ، وقسم العالم بناءا على ذلك الى ثلاثة مناطق حضارية متميزة هى :

(أ) التندرا Tundra ، وتضم الشمال الأوروبى وروسيا وسيبيريا ومنغوليا وكندا وشرق الولايات المتحدة والأرجنتين ، ويرى أصحاب ذلك التقسيم أن الفن فى منطقة التندرا ابداعى وواقعى •

(ب) الميزا Meas ، وتشمل هذه المنطقة جنوب أوروبا وشـــــمال أفريقيا ومصر والعراق والصين ولبنان ، والفن فيها تقليدى ، كما ضمت هذه المنطقة الحضارات القديمة كلها تقريبا •

(جـ) الغابات الاستوائية Jungle ، وتوجـــد منطقـــة الغـــابات الاستوائية هذه فى آسيا وحوض الأمازون ، والفن فيها شهوانى •

ويرى أصحاب هذا الرأى أن المعيار أو المقياس فى تقسيم الحضارات أو الثقافات الى مناطق يعتمد هنا على **النظم** الزواجية ، والطرق المستخدمة فى استئناس الحيوانات ونوعية الحيوان المستأنس ، كما يعتمد كذلك على أنواع الأطعمة وكيفية اعدادها (٦) .

ويرى فريق آخر أن تصنيف الثقافات يجب أن يرتكز على أساس درجة الارتباط وحجم **التكامل** الموجود بين عناصر الثقافة الواحدة ، وشكلت آراء الباحثة روث بندكت أساس ذلك التصنيف الذى ينطلق من مبدأ « أن لكل ثقافة مظهرا عاما كليا » ، **وأطلقت بندكت على هذا المبدأ** مصطلح Culture Configuration » ، وهذا المبدأ ينهض على أساس أن الظروف البيئية الاجتماعية والطبيعية تنعكس على سلوك ومواقف الأفراد التابعين للجماعات التى تحيا فى ظل تلك الظروف (٧) * .

ثم ما لبث بعد ذلك أن نهض اتجاه **جديد** ، تمخض عن ما يعرف بنظرية « الآفاق والدوائر الثقافية Culture Cireles » ، والتى توضح الصلة التاريخية بين مختلف الثقافات الموجودة فى قارتى آسيا وأفريقيا ، وأن ذلك الأصل الثقافى الواحد يكاد يكون متحدا سواء من حيث المظاهر المادية أو الاجتماعية أو الروحية (٨) .

كما برز تصنيف خامس للثقافات اعتمد على عدة **مقومات** منها ، نوعية البيئة الجغرافية والاجتماعية والطبيعية السائدة ، بما فى ذلك النظم الاجتماعية والأعراف والأساطير ، ومنها نوعية الثقافة المادية السائدة خاصة ما تعلق منها بالتكنولوجيا وطريقة تعامل الانسان مع الآلات الصناعية ، ومنها كذلك الفنون السائدة (٩) .

هذا وقد تعرض أحد علماء الاجتماع المبرزين وهو سوروكين لنفس الموضوع وحاول أن يقسم الثقافة الى **دوائر** تتصل بالحضارة المادية

(*) تعتبر نظرية بندكت هذه والتى تضمنها كتابها « الانماط الثقافية » الذى صدر عام ١٩٣٥ ، أساسا لنظريات اخرى كثيرة فيما بعد .

كاستعمال الآلات والمخترعات والمكتشفات ، والدوائر المتصلة بالحضارة غير المـادية كظهور وزوال بعض العقائد والطوائف الدينية أو بعض النظم السياسية [١٠] .

هذا ويمكن اجمال العناصر المتكاملة للثقافة فى عدد من **المحتويات** منهـا ، اللغة ، والخصائص والمقومات المـادية ، والخصائص والمقومات الأيديولوجية العقائدية ، والعقيدة الدينية وطقوسها ومراسيمها ، والخرافات ، والمعرفة العلمية ، والفنـون بأنواعها المختلفة ، والأنظمـة الاجتماعية والعائلية ، ونظـام الملكية ، والنظـام السياسى ، ثم حالة السـلم والحرب [١١] .

٥ ـ الانتشـار الثقـافى :

يقصد بالانتشار الثقافى ، **انتقال** الأنماط الثقافية من مجتمع الى آخـر أو من جماعة الى جماعة أخرى أو من وسط أو مجال ثقـافى الى وسط أو مجـال آخر .

أما كيف تتم عملية الانتشار الثقافى ، فان الثقافات تنتقل عن طريق الأفراد أو الجماعات وربما عن طريق انتقال مجتمعات بأسرها ، كما هو الحال بالنسبة للتهجير الجماعى لمجتمعات محلية معينة بغرض اعادة توطينها فى مجتمعات أخرى سواء أكان هذا التهجير لأسباب ارادية أو أسباب غير ارادية [١٢] .

الا أن انتقال الثقافة **وانتشارها** عن طريق الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات ، لم يعد اليوم مع تطورات العصر التكنولوجية خاصة فيما يتعلق بوسائل الاتصال ، لم يعد سوى طريقة تقليدية تجد منافسة شديدة من وسائل الاتصال الأخرى كالاذاعة والتليفزيون وغيرها من وسائل الاعلام

المقروءة أو المسموعة ... الخ (*) .

هذا والانتشار الثقافى يتم اما بشكل تلقائى أو بشكل مخطط ، والشكل **التلقائى** دائما يأخذ الصورة الفردية فى شكل هجرات يقوم بها أشخاص يتركون أوطانهم الأصلية لأسباب متعددة لا يعنينا هنا ذكرها بقدر ما يعنينا أن نذكر أن هؤلاء الأفراد خلال هجرتهم من أوطانهم الأصلية الى الأوطان المضيفة ينقلون معهم بطريقة شعورية أو لا شعورية مختلف أنماطهم وسماتهم الثقافية ، وقد تجد تلك السمات والأنماط قبولا لدى سكان المجتمعات المضيفة ، فيكتب لتلك السمات والأنماط الحياة من جديد ، وتموت تلك السمات والأنماط بالقطع لو لم تصادف هوى وقبولا من المجتمع المضيف .

كان ذلك عن الشكل التلقائى للانتشار الثقافى ، أما اذا كان الانتشار **مخططا** له من قبل ويتم فى اطار هجرة جماعية منظمة أو حملة استعمارية تفرض أنماطها وسماتها الثقافية على الشعوب المقهورة بقوة السلاح ، أو من خلال علاقات ثقافية تبادلية أو منظمة بين الدول وبعضها أو من خلال حملات اعلامية أو عروض فنية أو ما شابه ذلك بهدف عرض أنماط وسمات ثقافية معينة لمجتمع ما على مجتمعات أخرى وبأسلوب علمى عصرى ، على أمل أن يصادف بعضها هوى فينتقل ثم يختلط أو يتشابك مع غيره من الأنماط والسمات الثقافية المحلية ، وربما تكون له الغلبة فى النهاية لسبب أو لآخر .

لكن تبقى عملية الانتشار الثقافى دوما **رهنا** بعدة أمور ، بعضها يعود

(*) صور الانتشار الثقافى ووسائله كثيرة ومنوعة ، منها الهجرة الخارجية ومنها الاستعمار الذى يفرض أنماطه الثقافية على المجتمعات المحتلة ، ومنها مختلف صور الاحتكاك الدولى كالعلاقات التجارية او الارساليات الدينية ، هذا ومن الصور المألوفة والمعترف بها اليوم المراكز الثقافية للدول والتى تعتبر أحد مقومات بعثاتها الدبلوماسية لدى الدول الأجنبية ، وأولى مهام هذه المراكز العمل على نشر ثقافاتها الوطنية فى الدول الأخرى مع تشجيع مختلف عمليات وصور الاحتكاك الثقافى بين بلدها الأصلى والبلد المضيف .

لطبيعة الثقافة المهاجرة ، وبعضها يعود الى المجتمعات المضيفة ، ومن أهم ما يخص الثقافات **المهاجرة** ضرورة احتوائها على عناصر أو أنماط أو سمات جديدة أو غير مألوفة بالنسبة للمجتمعات المطلوب تصديرها اليها ، أما فيما يخص المجتمعات **المضيفة** للثقافات المهاجرة ، فلابد أن تكون تلك المجتمعات أو على الأقل قطاعات رئيسية منها مهيئة لتقبل الثقافة الوافدة ، وطبعا لن يحدث هذا ولا ذاك الا اذا كانت هناك أرضية مشتركة أصلا بين البيئتين المصدرة والمضيفة للثقافة ، والأرضية **المشتركة** التى نعنيها ، هى أن تجمع المجتمعين وحدة اللغة أو الدين أو الأصل أو الاحساس بخطر خارجى مشترك .

هذا وتوجد **نظريات** كثيرة تحاول كل منها أن تفسر كيفية الانتشار الثقافى ، وأن توضح أصول الأنماط الثقافية ، فهناك على سبيل المثال نظريات **المصدر** الواحد ، أو المصادر المتعددة ، أو الاستعداد الثقافى ، وكلها تحاول ارجاع ظاهرة نمو وانتشار الأنماط الثقافية اما على اعتبار أن الأصول كلها واحدة **ثم تبعها** انتقال وانتشار من مجتمع الى آخر ، أو أن تلك الأنماط الثقافية قد نشأ كل واحد منها فى وسط **مختلف** ومنفصل وأخذ كل منها اما خطا متوازيا لا يسمح أبدا بأى اندماج أو التقاء ، واما أخذ كل نمط خطا مستقلا لكنه متلاقيا يسمح بوجود نقاط التقاء مشتركة بين مختلف تلك الأنمـــاط الثقافية المتعددة ، ونقاط الالتقاء تلك فيها الكثير من التشابه بين مختلف الأنماط الثقافية المكونة لها .

أما أصحاب **الاستعداد** الثقافى فيرون أنه يوجد دائما قـــــدر من الاستعداد لتقبل الثقافات الواردة لدى المجتمعات المضيفة ، ويؤكدون أن الاستعمار قد استغل هذه النقطة بالذات خلال سعيه **لفرض** سيطرته الثقافية على الشعوب المقهورة على الرغم من الاختلافات الواضحة والمتباينة بين الاستعمار والمستعمرات فى اللغة والدين والأصل والهدف ... الخ .

* * *

المصـــادر والتعليقات

١ — Tylor, Primitive Culture, PI.V.I (1870) Knowledge, Belief, Art, Morais Law, Custom and any other Capacities and Habits acquired by man asa member of society.

وانظـــــر ايضـــــا :

دكتور احمد الخشاب — دراسات انثربولوجية — مرجع سابق ص ٤٢ .

٢ — ضرب ايفانز برتيشار مثالا لذلك الفرق فى دراسة الثقافة من وجهة نظر كل من الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية خلال كتابه « الأنثربولوجيا الاجتماعية » من خلال ظاهرة عبادة الأسلاف او عبادة ارواح الموتى حيث قال :

انه فى حال دراسة مثل هذه الظاهرة . فان عالم الأثنولوجيا يدرس عبادة الأسلاف كجزء من الثقافة العامة ، حيث يعنى بدراسة الأفعـــــال والعادات والممارسات التى يقوم بها معتنقوا هذه الديانة ، وقد يلجأ عالم الأثنولوجيا « الأنثربولوجيا الثقافية » الى التبرير والتفسير الاستنباطى او النفسى فى علاج الممارسات التى يلجأ اليها أفراد المجتمع المبحوث تجاه الأرواح التى يعبدونها — كتقديمهم للقرابين فى المناسبات الدينية ، واقامتهم بعض الطقوس الدينية خصوصا الجانب الجنائزى منها — ، كما يحاول ارجاع كل ذلك الى اصوله الأولى .

اما الباحث فى مجال الأنثربولوجيا الاجتماعية فانه يفسر ظاهرة عبادة أرواح الأسلاف فى ضوء النظم الاجتماعية الأخرى المتصلة بالظاهرة المبحوثة ، وذلك باعتبار الظاهرة عنصرا من عناصر النسق الاجتماعى الكلى العام للجماعة أو المجتمع المدروس .

للاســـتزادة انظـــــر :

(أ) Evans Pritchard, Social Anthropology, op. cit.

(ب) دكتور أحمد الخشاب — دراسات انثربولوجية — مرجع سابق .

(جـ) وحول عبادة ارواح الأجداد او عبادة السلف Ancester - Worship
انظر : دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق ص ص ٢٦٧ — ٢٦٩ .

٣ — انظر — دكتور احمد الخشاب — دراسات انثربولوجية — مرجع سابق ص ٤٣ .

٤ — للاستزادة انظر رأى الأستاذة Ruth Benedict ضمن المصدر السابق ص ص ٤٣ — ٤٤ .

٥ — انظر تحليلا للسمات الثقافية المادية فى :
Linton, Ralph, The Cultural Backyround of Personality N. Y, 1934.

٦ — يتزعم هذا الاتجاه كلاك ويزلر خلال كتاب « الانسان والثقافة » ، للاستزادة انظر :
Wissler; Clark, Man and Culture, New York, 1923.

٧ — للاستزادة انظر :
Ruth Bendict : Patterns of Culture, 1935.

٨ — صاحب هذه النظرية هو ليو فروينبوس ، انظر :
دكتور أحمد الخشاب — دراسات أنثربولوجية — مرجع سابق — ص ص ٤٩ — ٥٠ .

٩ — العالم الأمريكى كروبر Krober ، هو صاحب هذا التصنيف وطبقه على بعض المناطق الثقافية الأمريكية ، للاستزادة انظر :
Krober, Anthropology.
وأيضا انظر :
دكتور أحمد الخشاب — دراسات أنثربولوجية — مرجع سابق ص ص ٥٠ — ٥١ .

١٠ — المصدر السابق ص ٥١ .

١١ — Sorokin, Social and Cultural Dynamics. The Cyclical Conceptions of Social and Historical Process, Social Forces, Vol. 6. N. I. Sept. 1927.

١٢ — للاستزادة حول عملية التهجير والتوطين انظر :
دكتور صلاح الفوال — تنمية المجتمعات الصحراوية — أسس نظرية — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة — ١٩٦٨ ص ص ١٩١ — ٢١٥ .

* * *

المبحث الثالث

النظم الاجتماعية بين الأنثربولوجيا والاجتماع

* الأنثربولوجيا والنظم الاجتماعية .

* الأنثربولوجيا والفلكلوريات .

* * *

* الأنثربولوجيا ودراسة النظم الاجتماعية :

يشكل موضوع دراسة النظم الاجتماعية أحد الاهتمامات الرئيسية للأنثربولوجيا خصوصا ما تعلق منها بالمجتمعات المتخلفة أو بالقطاعات المتخلفة من المجتمعات المتحضرة ، ولقد توافر على هذه الدراسة ما يعرف بـــ « الأنثربولوجيا الاجتماعية Social Anthropology » ، والتى تعتبر أكثر موضوعات الأنثربولوجيا **التصـــاقا** بعلم الاجتماع ، وللدرجة التى رأى معها كثير من علماء الاجتماع أن لأنثربولوجيا الاجتماعية ما هى الا فرعا متخصصا من علم الاجتماع له مهة خاصة تتعلق بالقطاعات المتخلفـــة والمجتمعات المسماه بالبدائية أو شبه البدائية .

ولا نريد هنا أن نكرر ما سبق أن قلناه عند حديثنا عن اهتمامات الأنثربولوجيا الاجتماعية ، لكننا نريد أن نؤكد على الدور الذى لعبته المدرسة **الوظيفية** من خلال الأنثربولوجيا الاجتماعية فى تطور وتقدم علم الاجتماع ذاته ، فالمنهج الوظيفى الذى يسلكه الباحث الأنثربولوجى يجعله يدرس النظم الاجتماعية فى مجتمع بحثه دراسة ميدانية مباشرة ، عن طريق معايشته للمجتمع المبحوث ولمدة تطول أو تقصر على حسب خطته البحثية ، المهم أنه يدرس مجتمعه **ككل** مترابط ومتماسك ومن جميع النواحى الأيكولوجية والاقتصادية والسياسية ، ومن حيث الأعراف والعادات

والتقاليد والقيم السائدة ، فضلا عن مختلف النظم الاجتماعية ، الى جانب دراسته للفنون وللتكنولوجيات المتوافرة والمستخدمة فى مجتمع البحث ، علاوة على مختلف العلاقات **التبادلية** بين البيئة الطبيعية والجغرافية وبين غيرها من النظم الاجتماعية والثقافية المؤثرة فى بنيان المجتمع وتطوره •

ويرى الأنثربولوجيون أن الباحث فى سعيه لدراسة كل تلك الجوانب أثناء بحثه لظاهرة ما ، لا يفعل ذلك جزافا وانما أملته عليه **ضرورة منهجية** تسعى للتعرف على مختلف أبعاد الدور الذى تلعبه الظاهرة المبحوثة على مسرح النسق الاجتماعى العام أو من خلال البنية الكلية للمجتمع المبحوث كله ، باعتبار أن الظاهرة المبحوثة ان هى الا جزء فعال ويؤدى وظيفة فى النسق الكلى العام للمجتمع [١] * •

* الأنثربولوجيا والفلكلوريات :

الفلكلور Floklore ، كمصطلح يعنى « المعرفة أو الحكمة الشعبية ** » كما تبدو من خلال الأدب الشعبى سواء أكان ذلك شعرا أو نثرا *** •

(*) يسعى المنهج الوظيفى للبحث عن العلاقة بين مختلف النظم ، ويهدف أولا الى توضيح وتفسير أسس التنظيم الاجتماعى وعلاقة كل منها بالآخر ، ويهدف ثانيا الى تحليل تأثير نظام معين على بقاء علاقات معينة وعلى قدرتها على تحقيق أهداف محددة طبقا للتحديد المجتمعى لكل من العلاقات والأهداف ، كما يسعى المنهج الوظيفى ثالثا لاكتشاف الدور الذى يؤديه نظام ما فى ايجاد الترابط الاجتماعى ، واستمرار وتطور طريقة أو نمط ما من طرق الحياة أو الحضارة فى المجتمع للاستزادة انظر :

دكتور صلاح الفوال — منهجية العلوم الاجتماعية — عالم الكتب — القاهرة — ١٩٨٢ .

(**) أول من استخدم مصطلح فلكلور هو العالم الانجليزى W. Toms عام ١٨٤٦ .

(***) يمكن تعريف الفلكلور كعلم بأنه العلم الذى يدرس مختلف المؤثرات والمعتقدات الشعبية كالسحر والخرافات والغيبيات علاوة على الأساطير والأدب الشعبى والأغانى والمراسيم الخاصة بالموت وشعائره .

أو قد يقصد به « التراث الشعبى الممثل للروح أو النفسية الشعبية وبالشكل الذى تبرزه الأساطير والحكايات القديمة » .

لكن الاتجاهات **المعاصرة** ترى أن الفلكلور فنا شعبيا واقعيا ، **لابد** من دراسته دراسة « أثنوجرافية * » شاملة ترتكز على المسح العام لكل مظاهر الابداع الشعبى من المعتقدات والتقاليد والآداب والفنـــون التشكيلية ، بقصد العناية بالتغيرات المحلية والمتنوعات البيئية فى الفنـون الشعبية .

ومن هذا المنطلق ، تغير مفهوم الفلكور ، حيث لم يعد **تعبيرا** عن الماضى فقط ، وانما صار تعبيرا حضاريا ديناميا عن الماضى والحاضر معـــا (٢) .

ومن العلماء من يرى أنالفلكلور يجب أن يتوافر على دراسته علم مستقل يسمى علم « **الفلكلوريات** Folkloristies » ويختص هذا العـلم بدراسة الأدب الشعبى بما فيه من روايات وســير وأحاديث شـائعة ومتواترة (٣) .

ومنهم من يرى أن « الفلكلوريات » يجب أن **تندرج** تحت الدراسة اللغوية الأدبية خصوصا اذا ما وسعنا مفهومنا لاصطلاح « الأدب » ليضم مختلف الآثار الشفوية المتواترة والمنقولة الى جانب مختلف صور الابداع الفنى المدون من شعر ونثر (٤) .

ولكن **الاتجـاه** الذى يرى ضرورة توافر علم مسـتقل لدراسـة الفلكلوريات هو الاتجاه السائد فى معظم جامعات العالم ودوله الآن ،

(*) الأثنوجرافيا Ethnography ، وهو الفرع الذى يختص — من بين فروع علم الانثربولوجيا — بدراسة الآثار والمظاهر المـادية للثقافات أو الحضارات فى الجماعات والمجتمعات البشرية .
للاستزادة حول الاثنوجرافيا انظر :
دكتور أحمد الخشاب — دراسات انثربولوجية — مرجع سابق — ص ص ٦٧ — ٧٢ .
وانظر أيضا مؤلفنا عن « سوسيولوجيا الحضارات القديمة » — مرجع سابق — لتتعرف على بعض النماذج التطبيقية للاثنوجرافيا .

ففى جمهورية **مصر** العربية مثلا ، خصصت جامعة القاهرة « كرسيا » لدراسة الأدب الشعبى ضمن كلية الآداب بها ، كما أقامت الدولة مركزا متخصصا للفنون والدراسات الشعبية وحددت أولى مهامه فى ضرورة البحث عن وفى مجال الفلكلوريات بمختلف الطرق العلمية علاوة على مهمة تسجيل التراث بشتى وسائل التسجيل وصوره * .

كما تتعدد **مناهج** دراسة « الفلكلوريات » ، وهذا التعدد لا يرجع الى طبيعة التراث الشعبى كمادة مدروسة ، بقدر ما يعود الى اختلاف وجهة نظر الدارس نفسه حول مختلف العـــوامل المؤثرة والناتجـــة عن ذلك التراث (٥) .

واذا ما أردنا **حصرا** تقريبيا لتلك المناهج لتبين لنا أن هناك ستة مناهج هى ، المنهج الوظيفى ، والمنهج الاجتماعى ، والمنهج الجغـــرافى التاريخى ، والمنهج النفسى ، والمنهج الأنثربولوجى ، وأخـــيرا المنهج البنـــائى (٦) .

* * *

(*) هناك بعض المعـــاهد والجامعات العربية التى لازالت تدرس الفلكلوريات ضمن معاهد او كليات او اقسام اللغة العربية ، وذلك ضـــمن المقررات التى تدرس الأدب العربى لاسيما الجاهلى والقديم منه .

المصـــادر والتعليقات

١ — ايفانز يرتيشار — مرجع سابق .

٢ — للاستزادة انظر :
دكتور أحمد الخشاب — دراسات انثربولوجية — مرجع سابق ص ص ٦٤ — ٦٥ .

٣ — للاستزادة حول مناهج البحث الخاصة بدراسة التراث الشعبى انظر .
دكتوره نبيله ابراهيم — الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة — بدون سنة النشر — ص ص ١٨٠ — ٣٠٢ .

٤ — المدرسة الفرنسية هى التى ترى ضرورة أن يستقل علم بدراسة « الفلكلوريات » ويطلقون على ذلك مصطلح «Traditions Populoires» .

٥ — يتزعم هذا الاتجاه عدد من العلماء الأمريكان والانجليز مثل Tylar ، A. Lang ، ومن المعروف أن « تايلور » هو الذى نادى بهذا الراى اولا ثم تبعه الباحث الأسكتلندى « اندرو لانج » من خلال اعتبارهما للفلكلوريات كظواهر ادبية ولغوية اجتماعية تنشأ تلقائيا .

٦ — من اشهر العلماء الذين درسوا الفلكلوريات باعتبارها ظواهر نفسية ، العالم الألمانى « ولهم وندت W. Wundt » ، ووضح رايه هذا من خلال كتابه « سيكلوجية الأمم » ، ومن اشهر من استخدم المنهج الوظيفى فى دراسة الفلكلوريات « مالينوفسكى Malinowski » ، انظر مؤلفه : Magie, Science and Religion, Boston, 1948 ، ومن اشهر من استخدم المنهج الاجتماعى فى هذا المجال الباحثة الفنلندية « هـ . جرانكفست » وكانت معظم دراساتها الحقلية عن فلسطين ولها فى ذلك عدة كتب منها :

1. Hilma Granquist; Birth and Childhood among the Arabs, Helsingfors, 1947.

2. Hilma Granquist : Marriage Conditions in a Palestinian Villiage, Helsingforo, 1931.

هذا ومن اشهر من استخدم المنهج الجغرافى التاريخى فى دراسة الفلكلوريات الباحث « آنتى آرنى Antti Aarni » ، ويسعى هذا

المنهج بشكل عام الى تتبع مسار الحكاية الشعبية بين الشعوب واجراء دراسات مقارنة لها تبعا للزمان والمكان اللذين نشأت فيهما الحكايات أو الأساطير الشعبية بهدف التعرف على ما لحق بالرواية الشعبية مثلا من حذف أو اضافة خلال مسارات تنقلها المختلفة ومحاولة ردها الى أصولها الأولى ، انظر فى ذلك :

Antti Aarni; Der man aus dem Paradise, (F.F.C. Finlamd), 1915.

فى :
دكتوره نبيله ابراهيم ــ الدراسات الشعبية ــ مرجع سابق ص ٢٢٤ .

أما عن المنهج البنائى فى دراسة الفلكلوريات فانه يسعى الى دراسة الشكل أو الصورة أو النمط الفلكلورى بوصفه كلا بعد تحليله الى عناصره الصغيرة المكونة له ، وذلك بهدف وضع ذلك الشكل أو النمط الفلكلورى ضمن تصنيف ملائم ينتظمه مع غيره من الأنماط الأخرى ، وبعبارة أخرى فان ذلك المنهج يسعى لدراسة الفلكلوريات من ناحيتها المورفولوجية معتمدا على التحليل البنائى لها .

وهذا المنهج قديم وحديث معا .. قديم من حيث النشأة وحديث من حيث الاهتمام ، انظر فى ذلك :
Vladimir Propp : Morphology of the Folktale, Indiana Uni, 1968.
وانظر أيضا :
دكتور صلاح الفوال ــ مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٨٢ .

* * *

المبحث الرابـــع

الأنثربولوجيا بين الاستعمار والعنصرية

* الأنثربولوجيا والاستعمار .
* الأنثربولوجيا والعنصرية .
* الصلات ما بين اتجاهات التمييز العنصرى والاستعمار .

* * *

* الأنثربولوجيا والاستعمار :

من الأمور التى وصمت الأنثربولوجيا — من وجهة نظر دول العالم الثالث على الأقل — صلة هذا العلم من حيث نشأته وتاريخه بالاستعمار والعنصرية ، حيث راح الكثيرون يعتقدون أن الأنثربولوجيا — كعلم — هى من حيث النشأة والهدف علم **استعمارى** ، لأنه كان مطية الاستعمار التى مكنت الدول الغربية من استعمار دول وشعوب كثيرة من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

أما كيف حدث ذلك ، فان ذلك قد تم من خلال سلسلة متتابعة من الباحثين الذين ارتدوا قناع **التبشير** بينما هم فى الحقيقة مقدمة لذلك الزحف الاستعمارى الغربى الذى رزح فوق كاهل تلك الشعوب لسنوات عديدة .

وبحيث عمل هؤلاء الباحثون من خلال مهمتهم التبشيرية المزعومة الى جمع العديد من المعلومات حول المجتمعات المستعمرة أو التى يشكل

استعمارها هدفا مستقبليا ، ومن الطبيعى أن **تستغل** تلك المعلومات المجموعة اما فى تثبيت الاستعمار أو تهيئة المناخ المناسب له للانقضاض على ضحية جديدة للاستعمار وبأقل الخسائر الممكنة ، بالنسبة للدول الاستعمارية طبعا •• !!

ولم يشفع للأنثربولوجيا •• أن المعلومات التى جمعت حول شعوب ودول العالم الثالث قد اذهلت العلماء والباحثين ، حيث اتضح لهم أن الدول المستعمرة أو المستهدفة للاستعمار لها من النظم والحضارة والتقاليد ما يمكنها من **الصمود** ليس فقط فى وجه الاستعمار المكشوف وانما فى وجه مختلف أشكاله المستترة أيضا •

وبصرف النظر عن أن وجهة النظر تلك صحيحة الى حد كبير من حيث أنها تصف فترة تاريخية هامة من حياة الأنثربولوجيا كعلم ، لكن هذه النظرة المتحفظة والمتخوفة **ليست** صحيحة تماما اليوم ، خصوصا وأن الأنثربولوجيا قد طورت الكثير من أهدافها ومناهجها فى البحث ، هذا فضلا عن انحسار الاستعمار ذاته كظاهرة عالمية من حيث صورته السافرة أو المكشوفة والمباشرة على الأقل •

اذن لم تبق غير احساسات **لا شعورية** بعضها يحمل الأنثربولوجيا كل أوزار الاستعمار ، وبعضها الآخر يحملها — خصوصا الجانب الذى يبحث منها فى أصل الانسان من الناحية الطبيعية — أوزار **الزندقة** والكفر والعنصرية ، لكن تقدم الأمم وسعيها لتعويض سنوات الحرمان الطويلة لم ولن ينهض يوما على اللاشعوريات والغيبيات ، وانما سبيل التقدم والرخاء معروف ، وهو العمل الجاد القائم على **العلم** الذى يهيىء أقصى اشباع ممكن للحاجات العديدة والمتغيرة للشعوب على ضوء امكانياتها وطاقاتها المحدودة والمتاحة ، والأنثربولوجيا — كعلم — يمكنها أن تقدم الكثير فى هذا المجال ، حتى ولو اضطررنا الى الاعتراف بدورها فى التمكين للاستعمار ، فانه يمكنها أن تقوم بنفس الدور لكن فى الاتجاه **الصحيح** وهو الممكن لعملية تنمية ورخاء دول العالم الثالث وشعوبه •

خصوصا وأن معظم الدراسات التى أجريت حول تحديث دول العالم الثالث أثبتت أن معوقات التنمية فيها ، تعود للقيم وللثقافات ولنماذج السلوك السائدة فى تلك المجتمعات بنفس القدر الذى تعود فيه للنقص فى الامكانيات والطاقات المادية والاقتصادية * [1] .

وما غير الأنثربولوجيا الاجتماعية قادر على أن يدرس ويحلل ويفسر البنيان الاجتماعى لمجتمعات العالم الثالث بكل نظمها وعاداتها وقيمها وثقافاتها خصوصا فى علاقاتها التساندية ، لتكون تلك المادة المجموعة أمام العديد من الخبراء والمتخصصين فى مختلف المجالات ، أساسا صالحا للتنمية والرخاء .

(*) معوقات التنمية فى الدول النامية تكاد ان تنحصر فى العوامل الآتية :

١ — الفقر ، والمقصود به افتقار هذه الدول الى معظم مقومات الانتاج .

٢ — قلة الانتاج ، وتعود للانتاجية المحدودة سواء على مستوى الفرد او على مستوى المجتمع ، حيث أن معظم الأعمال تتسم بالهامشية فضلا عن ضعف التنظيم وافتقاد تقسيم العمل والتخصص .

٣ — قلة الخبرة الانتاجية على مستوى الفرد والمجتمع .

٤ — بدائية الانتاج وعدم تنوعه ، بمعنى اتجاه ذلك الانتاج للاشباع المباشر للحاجات وبصورته الأولية فى معظم الأحيان ، علاوة على اعتماده على المجهود العضلى للانسان او الحيوان او عليهما معا .

٥ — انتشار البطالة بأنواعها المختلفة .

٦ — قلة الأيدى العاملة الماهرة والمدربة .

٧ — انتشار الأمية ، وليس المقصود هنا امية القراءة والكتابة فقط ، ولكن يقصد بها ايضا الأمية الادارية والتنظيمية .

٨ — انتشار الموانع الثقافية ، ويقصد بها معوقات التنمية التى تعود الى مجموعة القيم والتصورات السائدة فى المجتمعات المتخلفة والتى لا تهيىء لها المناخ الثقافى والاجتماعى الذى يمكن مختلف عوامل الانتاج المادية متى توافرت من أداء دورها فى تحقيق أهداف التنمية وبرامجها ، للاستزادة حول معوقات التنمية فى البلدان المتخلفة ومستلزماتها وكيفية التغلب عليها انظر :

دكتور صلاح الفوال — تنمية المجتمعات الصحراوية — اسس نظرية — مرجع سابق ص ص ١٦١ — ١٨١ .

* الأنثربولوجيا والعنصرية :

نمت النظرية العنصرية فى أحضان الأنثربولوجيا ، فأضافت العنصرية الى جانب الاستعمار **عبئـــا** ثقيلا على الأنثربولوجيا ، أثقل كاهلها وحد من حركتها كعلم يمكن أن يساهم الى حد كبير فى تحديث المجتمعـــات النـــــامية .

على كل فان الأنثربولوجيا فى سعيها **لتصنيف** السلالات البشرية أو التعرف عليها ، ارتكزت على عشرات التصنيفات للعديد من العلمـــاء ، ومن تلك **التصنيفات** ما يعتمد على اللون ، سواء أكان للبشرة أو الشعر أو العينين ، أو تستند على « خريطة الرأس » من حيث شكل الشعر وتوزيعه ونسبة طول وعرض الرأس والأنف ودرجة بروز أى من قسمى الرأس ، علاوة على طول القامة والتناسب الموجود بين حجم الرأس وطول الجسم .. الخ ، ومنها ما يعتمد على التأثيرات المختلفة للبيئة الجغرافية .

كل ذلك فضلا عن الاتجاهات المعاصرة نحو الاستعانة بتحليل كل من الدم والبصمات للتعرف على السلالات البشرية .

وفى سبيل ذلك ابتكر العلماء أكثر من عشرة **أنماط** لتصنيف السلالات الا أن علمـــاء الأنثربولوجيا كانوا دائما يأخـــذون بمزيج من كل تلك التصنيفات وذلك لصعوبة التحقق من وجود أى من المقاييس التى تتضمنها تلك التصنيفات سواء على مستوى الفرد أو الجماعة بشكل تام أو كامل ، هذا علاوة على عدم **استقرار** الصفات الفيزيقية المميزة لكل سلالة سواء بفعل التزاوج والمصاهرة بين مختلف الأجناس ، أو بفعل الانتقال بأشكاله وأسبابه المتعددة الذى هو جزء من طبيعة الانسان ككائن حى يتحرك الأمر الذى يؤثر بغير شك على درجة ثبات الصفات **الفيزيقية** وهى الركيزة الأساسية فى كل الآراء أو النظريات التى قيلت حول تصنيف الســـلالات البشرية [٢] .

وهناك من يعتقد أن اختلاف علمـاء الأجنـاس وكثرة تصنيفاتهم للسلالات البشرية الى الحد الذى تتراوح فيه تلك الأجناس ما بين ثلاثة الى مائة وخمسين فرعا ، هذا التعدد وذلك الاختلاف ، يدعوان **للشـك** أصـلا فى صحة ما ذهبوا اليه بتعدد الأجناس البشرية بالصورة التى أكدوها ، فضلا عن أن دعاواهم للتفريق بين الأجناس البشرية لا تقوم على أسس ثابتة •

ويدعم ذلك الاعتقاد أن تلك المزاعم **العرقية** أو الفيزيقية تترتب عليها دعاوى أخرى تفسر أسباب تفوق أو انحطاط مجموعة أو سلالة بشرية ما بناءا على ما تملكه تلك المجموعة من مقومات أو خصائص نفسية أو اجتماعية أو ثقافية هى فى رأى أصحاب الدعاوى السلالية نتاج طبيعى لتلك التقسيمات الفيزيقية التى يدعونها •

لكن هناك اعتقاد آخر ، يؤمن بأن **التمـايز** العنصرى ، قديم قـدم البشرية ذاتها ، وأنه من غير الانصاف أن نحمل الأنثربولوجيا أوزاره ، لأن أى دارس للحضارات القديمة أو أى متتبع لتاريخ البشرية خلال مسارها الطويل منذ عشرات المئات أو الألوف من السنين ، سوف يجد بالقطع أن التمايز كان هو قدرها أو سمتها الأساسية •

ويقدم أصحاب هذا الاتجاه ما يؤيد وجهة نظرهم خصوصا من خلال الدعـاوى **الشـعوبية** التى سادت المجتمعات الحضارية القديمة كالهند واليونان والرومان والفرس ، حيث كانت هذه المجتمعات تعتبر ماعداها فى مرتبة حضارية أقل ، ومن بعد تلك الدعاوى الشعوبية جاءت **الديانات** القديمة واستعارت بعض أسس ذلك التمايز وأسماءه وأطلقتها على المخالفين فى الدين أو فى العقيدة •

فمثلا نجد أن الرومان كانوا يسمون الأجناس غير الرومانية باسـم « جنتيل » Gentiles ، وجاءت اليهودية لتطلق نفس الاسم على كل ما

هو غير اسرائيلى ، ومن بعدها جاءت المسيحية لتطلق أيضا نفس اللفظ على من يدينون بغير المسيحية أو اليهودية .

ومادمنا بصدد الديانات القديمة ، فقد تضمنت **التوراة** خلال سفر التكوين بالذات تمييزا عرقيا لازالت بصماته واضحة حتى اليوم عندما ردت البشرية كلها الى أبناء نـــوح عليه السلام وهم سام وحام ويافث ، كما حددت الشجرة السلالية لكل منهم وكذلك التفريعات التى نتجت عنهـــم [٣] .

ولكن الفرق بين **التقسيم** الذى أتت به التوراه من خلال سفر التكوين ، وبين المزاعم الفيزيقية التى يأخذ بهـــا الأنثربولوجيون واضـــح وكبير ، **فالتواره** ارتكزت فى ذكر الشعوب التى انحدرت من أبناء نوح الثلاثة على على أسس وروابط لغوية وسياسية ، أكثر من اعتمادها على الصـــلات الفيزيقية أو البيولوجية التى تعتبر عند الأنثربولوجيون ركيزة أصلية فى رد السلالات الى أصلها [٤] .

* الصلات ما بين اتجاهات التمييز العنصرى والاستعمار :

قلنا قبلا أن دعاوى **التمييز** بين السلالات ، ارتكزت اما على عوامل فيزيقية وبيولوجية مزعومة ، أو على دعاوى شعوبية قديمة ، أو على أسس دينية أسيىء فهمها من غير شك خصوصا ما ورد فى سفر التكوين من التوراه ، وكان من أبرز اساءات الفهم تلك ما قيل عن تفوق الجماعات **الســـامية** أى التى تنتمى الى « سام » استنادا على نص دينى قديم ورد فى التوراة ، ويقول ذلك النص ما معناه أنه حكم أو قضى على أبناء « حام » الابن الثانى لنوح عليه السلام ، أن يكونوا قاطعى أخشاب وأن يعملوا فى رفع المـــاء وحمله .

وبناءا على ذلك النص برزت فكرة استعمارية **خبيثة** لتبرير استعمار الشعوب الأوروبية لغيرها من الشعوب الملونة ، وهيأت لهم دعاواهم

الأبيض أو الجنس العنصرية القائمة على أساس نظريات تزعم تفوق الجنس الآرى ، هيأت لهم هذه الدعاوى المدعومة بنص دينى قديم ورد فى التوراة وأسيىء فهمه وبالتالى أسيىء **استغلاله** ، هيأت لهم دعاواهم أن المشيئة الالهية قضت بأن يقوم الملونون بأعمال السخرة وأن يكونوا دوما فى خدمة الشعوب البيضاء ، وطبعا لن يحدث ذلك بغير استعمار الجنس الأبيض للجنس الأسود أو الملون ليس فقط تحت ذريعة تلك المشيئة **الالهية** المزعومة ، ولكن لأن قدر الجنس الأبيض هو أن يبسط حمايته ورعايته لما عداه من الأجناس كضريبة **على** نبوغه وتفوقه .. تنفيذا لغضبة نوح على ولده حام ولدعوته على سلالته من بعده بالرق والعبودية .. !!

وعلى كل حال .. لم تكن الدعاوى الدينية وحدها هى التى خلقت المبرر أمام الدول الاستعمارية لاستغلال غيرها من شعوب ودول العالم الثالث ، كانت الى جوارها آراء عنصرية أخرى كثيرة تزعم أن الرق والاستعباد — والاستعمار أحد أشكالهما المتطورة — شيئا هو من **ناموس** الطبيعة ذاتها ، وما أفكار وآراء أرسطو * ببعيدة حيث كان يزعم أن الطبيعة عندما تمنح فانما تعد شعوبا للتفوق والسيادة ، وعندما تمنع فانها تحكم على شعوب أخرى بالانحطاط والعبودية ، ودائما كان العطاء للشعوب البيضاء ، ودائما كان المنع لمن سواهم من الملونين كما يزعم دعاة العنصرية والاستعمار ** .

وهناك نقطة أخرى ساهمت الى حد كبير فى نمو تلك الدعاوى العنصرية الاستعمارية وتتمثل فى نتائج **الدراسات** الحقلية التى أجريت للعديد من

(*) لافلاطون خلال جمهوريته آراء مشابهة ، لكنها تنصب بالدرجة الأولى على الأفراد لا على الجماعات حيث زعم ان الاله صنع الحكام من طينة خاصة تؤهلهم للحكم والفلسفة ، وزعم أن طينة هؤلاء اختلطت بالذهب ، بينما طينة من تلاهم اختلطت بالفضة ، أما بقية طبقات الشعب فقد اختلطت طينتهم بالحديد والنحاس .

(**) من الطبيعى الا يرتكز الاستعمار على تلك المبررات فقط ، بل كانت له بالضرورة أهداف استراتيجية واقتصادية وسياسية كثيرة أخرى ، لكننا هنا بحكم الموضوع نركز الضوء على الدعاوى العنصرية كأحد المبررات التى لجأ اليها الاستعماريون فى اضفاء الشرعية على استغلالهم لدول العالم الثالث .

الشعوب البدائية أو شبه البدائية خصوصا فى أعقاب اكتشاف القارتين الأمريكية والاسترالية ، حيث أبرزت نتائج تلك الدراسات وجود **تشـــابه** كبير فى خصائص السكان الأصليين لقارتى أمريكا واستراليا فضلا عن التشابه الموجود بين هؤلاء السكان وبين خصائص الشعوب التى أوردتها التـــــوراة •

وقبل أن نختم حديثنا عن الأنثربولوجيا بين الاستعمار والعنصرية ، نحب أن نوضح أن هناك عددا من الأنثربولوجيين **يردون** فكرة التفرقة العنصرية الى ظاهرة **الاستعمار** ذاتها ، بمعنى أن التمايز العنصرى هو احدى نتائج الاستعمار وليس العكس •

ويقيم هؤلاء الباحثين فكرتهم على أساس أنه فى حقبات تاريخية كثيرة ومنوعة هاجرت أجناس متعددة من أوطانها الأصلية واستقرت فى بلاد تسكنها أجناس أخرى ، ولظروف تاريخية واجتماعية معينة تمكن الكثير من تلك الأجناس المهاجرة من **اغتصاب** كل بلاد المهجر أو أجزاء كبيرة منها ، فكانت لهم السيادة والحكم مع ما استتبع ذلك من تكريس كل مقومات الحياة والقوة فى يد الغالب ، بينما حرم المغلوب حتى من أبسط مقـــومات الحيـــــاة •

وطبقا للقاعدة المعروفة التى تمكن القوى من أن يزداد قوة ، بينما يزداد الضعيف ضعفا ، أو تمكن الغنى من أن يزداد غنى بينما يزداد الفقير فقرا ، تردى السكان الأصليون فى هاوية **التخلف** والتأخر ، ومع مرور الزمن صار ذلك التخلف هو سمة المغلوب ، بينما أصبح التقدم سمة الغالب ، زد على ذلك محاولة المستعمر المستمرة لتكريس كل خصائص التخلف ومقوماته ليس فقط تدعيما لاستعماره واستغلاله وانما أيضا لتثبيت دعاواه العنصرية التى ترجع **تفوقه** الى خصائص كامنة فيه ، وبالتالى ترجع تخلف غيره لخصائص كامنة فى ذلك الغير ••!! •

لكن الانصاف يدعونا الى أن نؤكد أن تلك الدعاوى العنصرية ، خصوصا تلك التى لوت النصوص الدينية القديمة ، قد وجدت من يتصدى لهـا خصوصا من رجالات الدين المسيحى ، فضلا عن مجموعة كبيرة من فلاسفة الغرب ومصلحيه الاجتماعيين ومنهم فولتير الذى دعا وبالحاح الى اعتبار مختلف صور التمايز العنصرى **انحرافا** ليس فقط عن قيم الفضيلة والتحضر والاخـاء والمساواة ، وانما هى انحراف اجتماعى لا يستقيم مع العقل ولا مع المنطق (٥) .

* * *

المصـــادر والتعليقات

١ ـــ دكتور صلاح الفوال ـــ تنمية المجتمعات الصحراوية ـــ أسس نظرية ـــ مرجع سابق .

٢ ـــ توجد تقسيمات وتصنيفات عديدة للسلالات البشرية منها ما أورده « لينابروس » حيث قسم البشرية على أساس جغرافى الى ثلاثة أجناس ، اما « بلو منباخ » فقد قسمها الى خمسة أجناس معتمدا على لون البشرة وتقاسيم الوجه ، علاوة على شكل الشعر وتضاريس الجمجمة ، ثم جاء بعد ذلك أنثربولوجيون كثيرون زادوا فى تقسيم أجناس البشرية حتى وصلت الى اثنين وثلاثين قسما على يد « مورتن » ، ثم « روجرى » الذى رأى أن الأجناس البشرية تنتظم فى ثمانية أقسام رئيسية لكنها تضم فروعا عديدة تصل الى ثلاثة واربعين فرعا .

ويبدو أن تلك التقسيمات لم تكن كافية ، فقد أخذ الأنثربولوجيون سواء بصفتهم الشخصية أو من خلال مؤتمراتهم العلمية ، أخذوا يزيدون من فروع العائلة البشرية حتى وصل عددها على يد العالم الأمريكى « جيلدون » الى مائة وخمسين فرعا .
للاستزادة حول تلك التقسيمات وعلمائها انظـــر :

ـــ الدكتور أحمد الخشاب ـــ دراسات أنثربولوجية ـــ مرجع سابق ص ص ٢٠٦ ـــ ٢٠٩ .

٣ ـــ للاســـتزادة انظـــــر :
Juan Comans, The Race Question in Modern Science Racial Mythes, Unesco, 1951.

٤ ـــ ذهب علماء اللغويات استنادا على ما ورد فى سفر التكوين عن نوح عليه السلام وأولاده سام وحام ويافث ، الى أن هناك صلة ما بالضرورة بين مجموعات اللغات التى تصدر عن أصل واحد وبين انتماء الناطقين بها الى جنس واحد ، ولقد تعرضت هذه الفكرة لانتقادات عديدة أهمها أنه لا يمكن الاعتماد على اللغة وحدها كدليل على الاشتراك فى وحدة الأصـــــل .

٥ ـــ أثبتت معظم الدراسات العلمية أن دعاوى الجنس والعنصرية لا تنهض على أسس علمية ، بل كثيرا ما اكدت التجارب عكس ما ذهب اليه

أصحاب تلك الدعاوى ، وسنعطى هنا بعض الأمثلة من خلال النقاط الآتيـــة :

— ثبت أن الفصائل الدموية لا تحمل اية مدلولات لأى تفوق عنصرى لأى جنس من الأجناس البشرية ، ولقد دلت فقط على وجود تقارب أو توحد فيما يختص بأصول تلك السلالات .

— اثبتت التشريحات التى أجريت حول حجم الجمجمة ووزن المخ انه لا توجد اية صلات بين التفاوت فى حجم الجمجمة والذكاء مثلا ، وان كانت بعض الشعوب قد تفوقت فى رأى البعض نتيجة لكبر حجم المخ وتلافيفه ، فقد ثبت توافر مثل تلك التلافيف وذلك المخ لدى شعوب بدائية كثيرة ومع ذلك لم تكن متفوقة بنفس المعدل او لم تكن متفوقة على الاطلاق .

— ما حاوله بعض العلماء من اثبات ان تفوق جنس ما انما يرتبط بعدد النابغين فيه ، ولكن الدراسات الميدانية اثبتت عكس ذلك .
للاستزادة حول هذه الأبحاث وما انتهت اليه من نتائج انظر :

دكتور أحمد الخشاب — دراسة انثربولوجية — مرجع سابق ص ص ٢٣٧ — ٢٤٩ .
وانظر ايضا :
Otto Klineberg, Race, Psyehology, Unesco 1951.

* * *

المبحث الخامس
الأنثربولوجيا بين التطبيق وأهم النتائج

* التطبيقات الأنثربولوجية .
* نتائج بعض الدراسات الأنثربولوجية .

* * *

* التطبيقات الأنثربولوجية :

لكل علم هدف تطبيقى يسعى اليه ، لأن العلم للعلم يعتبر عملا ترفيهيا خصوصا بالنسبة للدول والمجتمعات **النـــامية** أو التى هى فى طريق النمو ، والتى تريد أن تعوض ليس فقط سنوات الحرمان الطويلة والمريرة التى عاشتها فى ظل ظروف مفروضة عليها فى جملتها ، وانما لتلحق أيضا بالركب الحضارى الذى يتغير كل يوم بل كل ساعة وكل لحظة .

والأنثربولوجيا كغيرها من العلوم الانسانية أو الطبيعية — يجب أن يكون لها أهداف **تطبيقية** ، أى محاولة استثمار كافة المعلومات النظرية التى توافرت لديها وتوظيفها لخدمة قضايا مجتمعية كقضايا التنمية والتحديث وما اليهـــا * .

ومن هذا المنطلق يمكننا تعريف **توظيف** المعلومات الأنثربولوجية المختلفة والمتعددة فى مجالات خدمة المجتمع ، فى نطاق ما يسمى بـــ « الأنثربولوجيا التطبيقية » ، يمكن **تعريفها** « بأنها الطريقة العلمية التى ترتكز على استثمار وتوظيف المعلومات الأنثربولوجية فى المساهمة فى حل المشكلات المجتمعية الحالية أو المستقبلية ضمن اطار خطة عامة لتنميـــة المجتمع وتحديثه » .

صحيح أن الأنثربولوجيا قد تكون لازالت **غارقـــة** فى دراسة وقائع اجتماعية معاصرة لكنها تنتمى الى الماضى ، بل والى الماضى السحيق أيضا

(*) للاستزادة حول هذه النقطة انظر كتابينا :
(أ) علم الاجتماع .. المفهوم والموضوع والمنهج — مرجع سابق ص ص ٥٨ — ٦٢ .
(ب) منهجية العلوم الاجتماعية — مرجع سابق — الفصل الحادى عشر .

حضاريا واجتماعيا ، لكن هذه هى سمة وقدر كل المجتمعات المتخلفة التى تحيا فى عصرنا الحاضر حياة قرون سابقة خلت .

وفى **رأينا** أنه لو تمكنت الأنثربولوجيا من تقديم صورة صحيحة عن أنماط ذلك التخلف الذى تحياه مجتمعات كثيرة فى دول العالم الثالث ، لكان ذلك وحده انجـــاز مقدر لهـــا ، لأن ذلك سوف يمكن كل المتخصصين من وضع تصوراتهم عن تنمية تلك المجتمعات وتحديثها من خلال **الواقـــع** الاجتماعى والحضارى الذى تحياه تلك المجتمعات بالفعل * ، لأن ذلك الفهم هو الذى سيمكننا من **تغيير** ذلك الواقع من صورته غير المرغوبة الى صورته التى نتمنى أن يكون عليها رفاهية وتحضرا .

والأنثربولوجيا التطبيقية Applied Anthropology ليست بدعة أو شيئا جديدا ، فقد سبق للدول الاستعمارية أن سعت اليها واستغلتها أسوأ استغلال واستخدمت فى سبيل ذلك علماء أنثربولوجيين مبرزين مثل **«ايفانز بريتشارد»** الذى قدم دراسة عن قبائل « الأزاندى » الســـودانية بصـــفته مبعوثا ومستشارا لوزارة المستعمرات البريطانية ، ولم يكن وحده بل شاركه فى ذلك **« نادل** Nadel » عندما قام بدراسته المشهورة عن قبائل « النوبا » النيجيرية مبعوثا ومستشارا لنفس وزارة المستعمرات البريطانية .

ونفس الشىء فعله **« راد كليف براون »** عندما قام بدراسته الشهيرة عن « نظم الحكم لدى الجماعات الافريقية » .

كما استخدمت الدراسات الأنثربولوجية **لتـــبرير** التفرقة العنصرية وفلسفتها فى مجتمع كالمجتمع الأمريكى مثلا ، وكان ركيزة ذلك التفلسف عالم مبرز هو **« ماكيفر »** حيث ضمن كتابه الشهير « المجتمع » دراسة توضح ـــ من وجهة نظره ـــ أن نسبة ذكاء الزنوج أقل منها لدى البيض ،

(*) انظر مثالا لذلك خلال اى من كتبنا الأربعة التالية :

١ ـــ البداوة العربية والتنمية ـــ دار الفكر العربى ـــ القاهرة ـــ ١٩٨٢ .

٢ ـــ تنمية المجتمعات الصحراوية ـــ اسس نظرية ـــ مرجع سابق .

٣ ـــ تنمية المجتمعات الصحراوية ـــ تطبيقات ميدانية ـــ مكتبة القاهرة الحديثة ـــ القاهرة ـــ ١٩٦٨ .

٤ ـــ علم الاجتماع البدوى ـــ مرجع سابق .

وكان طبيعيا أن يسود الجنس الأبيض ويتميز بحكم تفوقه ونبوغه المزعوم * .

ولم تكن **الاستخدامات** التطبيقية للأنثربولوجيا فى الماضى ، استخدامات استغلالية لتثبيت استعمار أو لابراز تفوق عنصرى وتأكيده فقط ، وانما كانت لتلك الاستخدامات أيضا جوانب عديدة **مضيئة** فى الكثير من المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والروحية والفلكلورية ساعدت كلها فى فهم المجتمعات وتقدمها .

والخلاصة أن دور الأنثربولوجيا التطبيقية لا يمكن **انكاره** حتى مع ما فيه من استغلال سيىء ، لأن كلا من الجانب السلبى والايجابى لذلك الدور ساهما معا كناقوس خطر قرع مسامع العالم كله سواء بالنسبة للواقع المر الذى تحياه المجتمعات المتخلفة ، أو سواء بالنسبة لصور وأشكال الاستغلال البشع لتلك المجتمعات من جانب الاستعمار أو التفرقة العنصرية ، مما جعل تلك المجتمعات المقهورة أو المغلوبة على أمرها **تهب** لاسترداد حريتها وكرامتها من جهة ، ومما حدى بالمجتمع العالمى كله لأن **يقف** ضد مختلف صور ذلك الاستغلال والاستعمار والتعصب حتى من داخل المجتمعات الاستعمارية ذاتهـــا .

*

* نتائج بعض الدراسات الأنثربولوجية :

نحن لن نطيل فى هذه النقطة كثيرا ، ويمكن لمن أراد الاستزادة حولها أن يعود الى مؤلفنا « علم الاجتماع البدوى » [1] .

لكننا هنا سنشير فقط الى بعض الدراسات والنتائج على النحو الآتى ، وسنحيل القارىء الى بعض مصادرها الأصلية :

١ ــ قام « مارسل موس » باعداد بحث قيم عن « **الهبات والهدايا**

(*) كتاب « المجتمع » المشار اليه الفه كل من ر . م . ماكيفر ، شارلزبيج عام ١٩٣٧ ، وقد نقله الى العربية الأستاذ الدكتور على أحمد عيسى ونشرته مكتبة النهضة المصرية فى طبعتين عام ١٩٥٧ ، ١٩٦١ ، انظر ص ص ١٦٤ — ١٦٨ ، وفقرات كثيرة غيرها من الطبعة الثانية .

الملزمة » لدى عدد مختار من الجماعات البدائية وشبه البدائية فى أنحـاء متفرقة من العالم مثل بولينيزيا ، وميلانيزيا والشمال الغربى الأمريكى ومناطق أخرى من العالم ، ولقد عمـد « موس » الى دراسة مجموعة من الأنساق والنظم الاجتماعية من خلال حرصه على وصفها — على حد تعبيره — نسقا بعد آخر وصفا **تكامليا** ، متجنبا المقارنات الاستقرائية — على حد قوله — التى يختلط فيها كل شىء ، والتى تفقد فيها النظم كل لونها المحلى وتتخلى فيها الوثائق عن دلالتها تماما (٢) .

ولقد انتهى « مارسل موس » الى عدة **نتـائج** يرى أنه من الممكن تطبيقها على مجتمعاتنا المعاصرة ، حيث تمثل الهبات الملزمة جانبا من القواعد الأخلاقية لمجتمعاتنا الحالية عـلاوة على تأثيراتها الاقتصـادية والسياسية والاجتماعية المختلفة والمتنوعة ، والتى لا تقتصر على المجتمعات التى كانت محل دراسة « مارسل موس » أو المجتمعات المشابهة لهـا فى الماضى فقط ، وانما تمتد تلك **التأثيرات** لتشمل العديد من المجتمعات الحديثة أيضـا (٣) .

٢ — نشر كل من H. Hoijer و R, Beals عام ١٩٧٠ خلال كتابهما المسمى«An Introductionto Anthropology»، دراسة تبرز التطبيقات المختلفة للأنثربولوجيا خاصة فى المناشط **الاقتصـادية** للعديد من المجتمعات من خلال ما يعرف بعلم « الأنثربولوجيا الاقتصادية » . وارتكزت تلك الدراسة على عدد من **التساؤلات** الهامة ، حول فهم الاقتصاديين لكيفية السلوك البشرى ، وما جدوى دراسة المجتمعات غير الصناعية فى تنمية أو تطوير الفكر الاقتصادى ، والمـدى الذى يمكن أن يفيدنا فيه الفـكر الاقتصادى أو حتى النظرية الاقتصادية من أجل فهم اقتصاديات المجتمعات غير الصناعية بصفة عامة والمتخلفة بصفة خاصة ، ثم ما هى الحالات التى تتشابك خلالها كل من الأنساق الاجتماعية والاقتصادية ، وأخيرا .. **ما هو** شكل وأبعاد الاختلافات الموجودة بين النظم الاقتصادية فى كل من المجتمعات الصناعية وغير الصناعية .

وطبعا هذه التساؤلات استدعت **تضافر** جهود عدد من الاقتصاديين والأنثربولوجيين للعمل على ايجاد اجابات معقولة لها .

وأوضحت الدراسة المشار اليها أن الفكر الأنثربولوجى الاقتصادى دار حول نقطتين محددتين ، تتمثل **أولاهما** فى ابراز الكيفية التى يتم بها انتاج السلع فى المجتمعات البشرية ، علاوة على الكيفية التى يتم بها توزيعها للاســـتهلاك .

وتتمثل النقطة **الثانية** فى توضيح الطريقة التى يتم بها انتاج وتوزيع السلع والخدمات على مختلف المجتمعات البشرية ، مع بيان الأنمـــاط السلوكية التى يتم خلالها ذلك كله (٤) .

وكان من الطبيعى أن تثار العديد من التساؤلات **الفرعية** الأخرى ، ككيفية تقسيم العمل ، وتنظيم الانتاج ، وأشكال التبادل لاسيما ما تعلق منها بصور التجارة المختلفة ، فضلا عن أشكال الملكية وأسس توزيع الثروة ، مع محاولة معرفة مشكلات كل من الانتاج والاستهلاك (٥) .

٣ ــ توجد دراسات أنثربولوجية أخرى متعددة ، وكانت لها تأثيراتها المؤكدة ليس على **مسيرة** وتقدم الأنثربولوجيا فقط ، بل وعلى تقدم علم الاجتماع أيضا ومن هذه الدراسات :

(أ) الدراسات التى أجريت حول القبـــائل الاسترالية لمعـــرفة واستكشاف مختلف **أبنيتهـــا** الاجتماعية مع التركيز أحيانا على بعض الظواهر والنظم كالثأر أو الزواج والحروب والحياة الجنسية (٦) .

(ب) الدراسات التى أجريت حول مجتمع الأندمان ، بهدف **استجلاء** نظم الزواج ومراسيمه ، علاوة على التعرف على شعائر الموت ومعتقداته عند الأندمانيين (٧) .

(جـ) الدراسات التى أجريت حول الأسكيمو وأبرزت بصفة خاصة مختلف نظمهم الاجتماعية لاسيما ما تعلق منها بتقسيم العمل ووأد الأطفال والثأر عندهم (٨) .

(د) الدراسات التى أجريت حول الهنود الحمر ، وما أسفرت عنه من معرفة للتوتمية لديهم ، علاوة على **نظم** الحرب والفروسية وتقسيم العمل وبيان كيفية بلوغ الصبى مبلغ الرجال عندهم [٩] .

(هـ) الدراسات التى أجريت حـول قبـائل الأزاندى والنـوير والبوشمان الأفريقية ، وما أسفرت عنه من توضيح لمختلف النظم والأنساق والأبنية الاجتماعية لديهم خاصة ما تعلق منها **بالطبقات** والسحر وبعض صـور الزواج الغريبة عندهم [١٠] .

* * *

المصـــادر والتعليقات

١ ــ انظر : دكتور صلاح الفوال ــ علم الاجتماع البدوى ــ مرجع سابق ــ ص ص ٣٠١ ــ ٣٨٤ ، لتتعرف على نتائج الدراسات الأنثربولوجية ونماذج للمجتمعات التى درست من خلالها .

٢ ــ مارسيل موس ــ علم الاجتماع والأنثربولوجيا ــ ترجمة الدكتور محمد طلعت عيسى ــ مكتبة القاهرة الحديثة ــ القاهرة ــ ١٩٧٢ ــ ص ٢٦ .

٣ ــ للاستزادة حول هذه النقطة :
انظر المرجع السابق ــ ص ص ٢٠١ ــ ٢٢٣ .

٤ ــ للاستزادة انظـــر :
Beals, R. & Hoijer, H. An Introduction to Anthropology, New York, 1970.

٥ ــ نفس المرجع الســـابق .

٦ ــ دكتور صلاح الفوال ــ علم الاجتماع البدوى ــ مرجع سابق ص ص ٣٤٣ ــ ٣٥٣ ، وانظر أيضا :

- W. L. Warner, A Black Civilization, A Social Stady of an Australian Tribe, Harper and Brothers, 1958.

- Raymond, Firth, We, The Tikopia : A Socidogical Stady of Kinship in Primitive Polynesia, London, 1957.

- B. Malinowski, The Sex Life of Sovages, London, 1939.

٧ ــ دكتور صلاح الفوال ــ علم الاجتماع البدوى ــ مرجع سابق ص ص ٣٥٤ ــ ٣٥٦ ، وانظـــر أيضا :

- R. Radcliffe - Broun, The Andaman Islanders, Cambridge, 1933.

٨ ــ دكتور صلاح الفوال ــ علم الاجتماع البدوى ــ مرجع سابق ص ص ٣٥٧ ــ ٣٦١ ، وانظـــر أيضا :

- F., Boas, The Central Eskimo, A Bison Book, 1964.

٩ — دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق ص ص ٣٦٢ — ٣٦٦ ، وانظـــر ايضا :

— Marden, C. : Minorities in American Society, American Book Company, New York, 1952.

١٠ — دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق ص ص ٣٦٧ — ٣٨٣ ، وانظـــر ايضا :

— E. E. Evans. Pritchard, The Nuer, A Description of the Model of Linclihood and Political, Institutions of Peopls, Oxford, 1940.

— E. E. Evans, Pritchard, Kinships and Morringe Amony The Nuer, Oxford, 1951.

* * *